

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

الإسلام والسيف... العثمانيون الجدد
د.عبد العزيز القناعي

السعودية الجديدة
يوسف عسكر

كيف جاءت الأديان إلى الوجود؟
عبد الرحيم بوتار

تجريم الحرّيّة وحرّيّة التّجريم! الجزء الأول
لمى اللبواني

العدد الثالث والتسعون من مجلة الملحدين العرب للثاني عشر من شهر أغسطس / آب لسنة 2020

كلمة تحرير المجلة

مرّ شهرٌ آخر من الترقب والتحمل للأوضاع الجارية والصعوبات التي تخيّم علينا جميعًا، وبدا أن بوادر النور في آخر النفق تمنحنا بعض الأمل مع إعلان روسيا تسجيل أول لقاحٍ لفيروس الكوفيد- 19 بالإضافة للوصول للاختبارات والتجارب الميدانية على البشر في دولٍ من بينها الإمارات العربية المتحدة.

يبدو أن الوضع بدأ في التحسن وستكون هناك أخبارٌ إيجابيةٌ في القريب العاجل. ومن جهةٍ أخرى أيضًا كان هناك خبر وصول المدونة التونسية آمنة الشرقي إلى برّ الأمان في رحاب ألمانيا، بعد التهديدات التي طالتها والحُكم عليها بالسجن بتهمة الإساءة للإسلام على إثر نشرها لصورةٍ فيها نصٌّ يحاكي النص القرآني بما صار يُعرف بسورة الكورونا. مما دفع كامل المنظومة الدينية إلى محاولة تصفيتها وسجنها ولكن كان للظروف وقوى الخير المدافعة عن الحرية والعدل فعلٌ آخر في هذا الشأن.

أيضًا الفرقة الموسيقية الإيرانية أرساميس ARSAMES استطاعت الهروب إلى برّ الأمان خارج إيران بعد الحكم على أعضائها بما يزيد عن 15 عامًا من السجن بالإضافة للتعذيب الجسدي لأنهم يعزفون موسيقى الروك والميتال التي قرر القضاة وأولي الأمر في إيران أنها موسيقًى شيطانية، الفرقة أعلنت أنه بعد أن تم اعتقالهم أكثر من مرةٍ وإغلاق منصاتهم للتواصل الاجتماعي وتهديدهم بجريمة أنهم يكتبون أغانيًا صاخبةً عن التاريخ الإيراني.

جاء أمر الاعتقال وقرار الحُكم في حقهم فلم يجدوا طريقًا إلا الهرب خارج البلاد إلى مكانٍ لم يتم التصريح عنه بعد. القوى الدينية والرجعية مازالت تحاول وبشراسةٍ أن تضطهد وتصفي أي قُوًى للتنوير والحرية وإخراس أي صوتٍ جميلٍ أو تعبيرٍ صادق. كل ما حدث ويحدث هو أن العالم يتغير ولن تتمكن هذه القوى الرجعية من إخفاء الحقيقة وقتل الكلمة.

ورويدًا رويدًا سيكثر الناجون ويتبعهم المزيد إلى أن تنقلب الطاولة على الاستبداد والاضطهاد باسم وحش السماء السحري.

فلا تخدعنكم الواجهات الملونة والمسالمة التي يقدّمونها للعامة... وتذكروا أنه في النهاية لن يصح إلا الصحيح.

الغراب الحكيم

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير

الغراب الحكيم

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver

أسامة البني (الوراق)

Alia'a Damascéne

غيث جابري

Abdu Alsafrani

Raghed Rustom

Johnny Adams

ليث روانديي

Rama Salih

إيهاب فؤاد

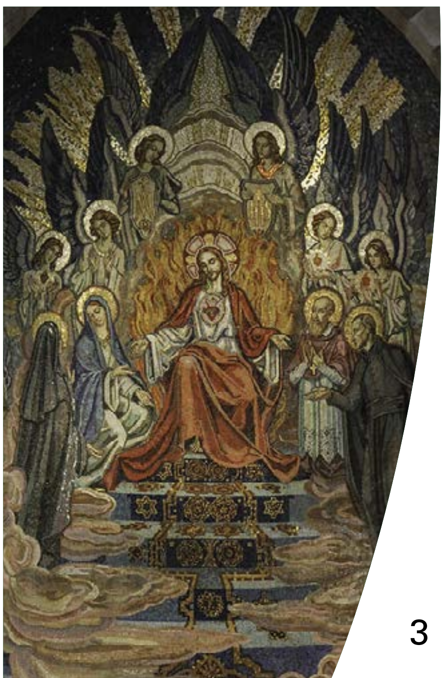
Yonan Martotte

RoRo Evil-Girl

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي





الفهرس

الإسلام والسيف
العثمانيون الجدد



د.عبد العزيز القناعي



أثارت الصورة المنتشرة في وسائل التواصل الاجتماعي ووكالات الأنباء والصحف الورقية والإلكترونية، لرئيس الشؤون الدينية التركي علي إرباش، وهو يحمل سيفًا أثناء إلقائه لخطبة الجمعة في آيا صوفيا، التي حوّلها إردوغان إلى مسجدٍ بعد أن كانت متحفًا تاريخيًا، أثارت العديد من التساؤلات والاستهجان والسخط لمن يؤمن بالعلمانية والعدالة والتعايش وعصر الحضارة، وبنفس الوقت لاقت التأييد والاستحسان والتصفيق لمن يؤمن بعودة الخلافة ونشر الإسلام بالسيف والقوة وعودة عصور الغزوات الإسلامية لتحويل معابد الكفار إلى مساجد، والحضارات الموجودة إلى حضارةٍ إسلاميةٍ بقوة المنتصر بالسيف.

في الحقيقة، لم يكن تصرف إردوغان نابعًا من استغلال الدين في المجال السياسي فقط، فهو معروفٌ بذلك التاريخ للتغطية على قراراته السياسية المحلية، وفي توسيع نفوذه الاستعماري، وفي تصفية خصومه، وفي دفع ثمن مغامراته العسكرية في أنحاء كبيرةٍ من الوطن العربي. إلا أن الهاجس الأكبر الذي دفع «خليفة المسلمين الجديد» في تبرير تحويل المتحف التاريخي إلى مسجد، هي رغبته لتثبيت حكمه المتزعزع عبر صرف الأنظار عن الأوضاع الاقتصادية البائسة، والغضب الشعبي إزاء تعامل الحكومة التركية مع أزمة جائحة كورونا، وإنهاك جيشه في صراعات خارج حدود تركيا. ولهذا لم يجد إردوغان مخرجًا لكل هذه الورطات السياسية، سوى الاستعانة بالإسلام لإعادة توجيه الأنظار إلى دوره العثماني في الدفاع عن الإسلام وإعادة حقوق المسلمين المغتصبة.

هذا الاستغلال البشع للإسلام في العصر التركي، كان نتاج فكرة أن الخلافة العثمانية، كانت بمثابة الدولة الحضارية والعلمية والفكرية الأولى، وأن الخلفاء العثمانيين، كانوا بمثابة الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين، بينما الحقيقة التي ينكرها المتعصب العثماني، وتيار الإخوان المسلمين،



تقول بأن تاريخ الدولة العثمانية كان الأقل إسهامًا في ميادين العلوم والثقافة، بمقابل انهماكها في الحروب والتوسعات الاستعمارية في الشرق الإسلامي وشرق أوروبا.

ولا يخفى على أي قارئٍ للتاريخ العثماني، أنه منذ احتلال العثمانيين للبلاد العربية في عام 1516 بعد معركة «مرج دابق»، ومعركة «الريدانية» في عام 1517، ودخول السلطان العثماني سليم الأول للشام ومصر، واستمرار احتلالهم لأجزاء من الوطن العربي حتى بدايات القرن العشرين، فإن العثمانيين بعد هذا التاريخ، لم يتركوا خلفهم سوى الخراب والكوارث، ولم يهتموا بالدول المسروقة وتطويرها، سوى ما يعزز نفوذهم وتوسع استعمارهم بشكلٍ مخيفٍ ومرعبٍ عبر تغطية تلك الجرائم بشعار الخلافة الإسلامية.

فقد كانت القرون الأربعة التي استمر فيها حكم العثمانيين، أحد النقاط السوداء في التاريخ العربي الإسلامي، ولم يتشافَ العقل العربي المسلم من تداعيات الاحتلال العثماني، بقدر ما أصبح أسيرًا لمفاهيم الثقافة العثمانية التي زرعت التواكل والقدرية والخوف والطبقية والأمية.

ولا يمكننا أن نخرج من فقرة الجرائم العثمانية بحق الإنسانية، دون أن نمر على واحدةٍ من أسوأ الجرائم ضد الإنسانية التي مارسها العثمانيون وهي جريمة إبادة الأرمن، حيث تعود هذه الجريمة إلى فترة الحرب العالمية الأولى والتي انهارت خلالها الخلافة العثمانية، ويعود سبب إبادة الأتراك للأرمن، بالشك الذي طال الأتراك من دعم الأرمن لروسيا أثناء الحرب، ويقدّر بعض المؤرخين بأن حوالي مليوني أرمنيٍّ كانوا يعيشون داخل أراضي الخلافة العثمانية مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914، وبحلول عام 1922، انخفض عددهم إلى 400 ألفٍ فقط.

هذا الجزء البسيط من سيرة الخلافة العثمانية، يجعلنا نفهم دَورهم التاريخي في تعطيل النهضة العربية، وفي تدمير مقومات الصناعة والعمل وتشكيل الدول والحكومات والأجهزة الإدارية. كما يضعنا أمام حالةٍ من الذهول والاستغراب والعجب، لمن يدافع عن القتلة والمجرمين، لا لشيءٍ سوى أن هؤلاء كانوا يمثّلون دولة الخلافة الإسلامية المنتظرة، وأن وجودهم، بمثابة الانتصار للحكم الإلهي المطلق، وأن الوقوف ضدهم، ما هو إلا إعلان الحرب على الله والرسول.

ولم يتوقف الدفاع عن التاريخ العثماني، حتى يمكن أن نفهمه داخل إطار الإيجابيات التاريخية، كما في التاريخ الإسلامي وعصر الحضارة الإسلامية أيام المعتزلة وابن رشد وغيرهم من المصلحين في التاريخ الإسلامي. بل أصبح الدفاع عنهم أمرًا مغموسًا بالحزن والألم لنا، لهؤلاء الذين تنكّروا للحقائق العلمية، ومارسوا أبشع الطرق والوسائل في تزييف التاريخ وظلم الأبرياء الذين قضوا تحت أقدام التاريخ العثماني.



ولعل أكبر جماعةٍ وتيارٍ مارس التغطية على العثمانيين، ودافع عنهم، وتمنى عودة الخلافة الإسلامية من جديدٍ إلى الحكم التركي، هم جماعة الإخوان المسلمين، الذين استطاعوا التغلغل إلى تركيا، والمساهمة في إنشاء ودعم الحركات السياسية ذات التوجهات الإسلامية، وتغييب التوجه العلماني لتركيا الحديثة. حيث بدأت حملة أخونة تركيا مع نجم الدين أربكان الذي أنشأ حزب النظام الوطني بعد أن تحالف مع الحركة النورسية، وهو التيار الصريح في تبعيته لأفكار الإخوان المسلمين وتبنيه لمنهجهم عبر دراسة رسائل الإمام البنا وكتب ومراجع الإخوان المسلمين، ولكن لم يستمر هذا الحزب طويلًا، إذ سرعان ما تم حله بعد الانقلاب العسكري في عام 1971.

ثم نشأت العديد من الأحزاب والتيارات السياسية الإسلامية التي كانت تمثل الخط الإسلامي للإخوان المسلمين، ونذكر منها على سبيل المثال، حزب السلامة وحزب الرفاه وحزب الفضيلة وحزب السعادة، وصولًا إلى حزب العدالة والتنمية الذي لا يزال يحكم تركيا بقبضةٍ من حديدٍ باسم تطبيق الشريعة وتمثيل المسلمين منذ وصوله إلى سدة الحكم في عام 2002، وعلى رغم نفي الحزب لتبعيته للإخوان المسلمين، إلا أنه يتقاطع معهم في كثيرٍ من الغايات والأهداف السياسية وعلى رأسها عودة نموذج الخلافة الإسلامية.

ورغم اعتراف رجب طيب إردوغان، رئيس الجمهورية التركية، بأن علمانية أتاتورك والدولة التركية الحديثة، في الحفظ والصون كما يقال، إلا أن إردوغان، من ناحيةٍ أخرى، فشل في الجمع بين الديمقراطية والإسلام، وانخرط في تحقيق طموحاتٍ شخصيةٍ له، إذ أدخل تركيا في حروبٍ إقليميةٍ بدوافع مذهبية. والأمر الآخر، وهو ما يزعج قيادة مصر وبعض دول الخليج العربي، أن تركيا لا تزال الحاضنة السياسية والاجتماعية والإعلامية، لكل مُعارضٍ للأنظمة السياسية في تلك الدول، وأن تركيا فتحت المجال لهم بعد أحداث الربيع العربي لزعزعة استقرار تلك الدول وتمكين الإخوان المسلمين من إسقاط الأنظمة العربية وحكمها بشعار «الإسلام هو الحل».



لقد أخفق من يدافع عن تركيا باعتبارها دولة الخلافة، في الدفاع عن وطنه الأم، واستساغ أن يكون أداةً صغيرةً في خدمة مشروعٍ قوميٍ لأمّةٍ أخرى لا هدف لها سوى الاستعلاء القومي، وعودة الحكم العثماني، واستعمار الوطن العربي من جديد. وما استخدام الدين والإسلام في الخطابات السياسية الإردوغانية، ومؤخرًا تحويل متحف آيا صوفيا إلى مسجد، ما هو إلا استغلالٌ بشعٌ للعاطفة الدينية لدى العرب، وتسويق إردوغان بأنه حامي حمى الإسلام ومجدد الخلافة الإسلامية.



إن من يراهن على الإخوان المسلمين اليوم في قدرتهم على إنقاذ الوطن العربي من التخلف والاستبداد والجهل، ينسى أن تلك الجماعة، وبلسان منظّريها، مثل سيد قطب والبنا والمودودي وغيرهم، قد اعترفوا بجاهلية المجتمعات العربية، وضرورة إسقاط الأنظمة العربية الحالية لأنها غير إسلامية. وما تدخّل الإخوان المسلمين، بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشر، في الحرب في سوريا واليمن وليبيا، إلى أحداث مصر في العام 2011، وما بعدها من إثارة القلاقل بركوب موجة الربيع العربي، وتهديد الأنظمة العربية والخليجية بالثورة عليهم، ما هو إلا أحد أساليبهم السياسية في دعم أي توجهٍ لإسقاط الأنظمة والوصول إلى السلطة باستغلال الشعارات الإسلامية.

ومن يرَ في حُكم إردوغان بأنه النهاية الحتمية لقيام الدولة الإسلامية، فهو يراهن على الحصان الخاطئ، ولا يرى الأمور بشكلٍ أوضح، بل ويفتقر للتفكير الاستراتيجي المستقبلي. فالرهان على تركيا، يجب أن يكون على الدولة واستقرارها، بعيدًا عن حكم الإخوان المسلمين وتدخلاتهم السافرة، وأن تكون تركيا دولةً لا تتدخل بشؤون الآخرين، ولا تفرض الوصاية باسم الدين.

فحزب العدالة والتنمية، لن يكون مجدد الخلافة الإسلامية، بل هو حزبٌ يمتلك الكثير من الأخطاء الاقتصادية والسياسية، وبدأت شعبيته في التقلص، وبدأ يفقد قدرته على إقناع الناخبين ببرامجه الانتخابية، والدليل على ذلك خسارته بلدية إسطنبول خلال الانتخابات البلدية الأخيرة. كما أن السجون في تركيا ممتلئةٌ بالمعارضين والإعلاميين وخصوم إردوغان. حيث سُجن عشرات الآلاف من المعارضين في انتظار محاكمتهم، بعد محاولة الانقلاب في عام 2016، وأُقيلَ 150 ألف شخصٍ من العمل للسبب ذاته، في أكبر عملية تصفيةٍ للخصوم والمعارضة السياسية.

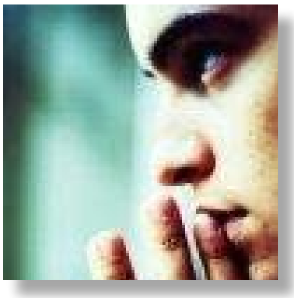


هنا نصل إلى نتيجةٍ واحدةٍ مفادها، أن جماعة الإخوان المسلمين، وتحالفاتهم مع الأنظمة المستبدة، وقد كشفت مؤخرًا تسريبات خيمة القذافي، عن تواطؤ بعض رموز الإخوان المسلمين في زعزعة استقرار الأنظمة العربية، بأنهم تيارٌ يمارس الخبث السياسي باستخدام الدين، وأن تركيا، عندما تضع تلك الجماعة تحت جناحيها، إنما تستغل تلك الجماعة وتأثيرها الديني، في محاولةٍ لإعادة الحلم العثماني، ورفع السيوف، مرةً أخرى على المنابر الدينية العربية، كما رفعها خطيب الجمعة في مسجد آيا صوفيا مؤخرًا.

السعودية الجديدة

التحولات الكبرى والزمن الأقل





يوسف عسكر

يصعب الحديث عن المملكة السعودية بمنأى عن محيطها الإسلامي العربي الذي تتشابه شعوبه في هيكلها الثقافي العام مع شيءٍ من التمايز الخاص الذي يفرضه الطابع المحلي لكل جماعةٍ بشريةٍ عن الأخرى، وأي رصدٍ وتحليلٍ يتطابق مع الواقع الإسلامي العام قد يكون مفهومًا إلى حدٍ كبيرٍ عطفًا على التأثير الشامل الذي أحدثه الإسلام في الوعي العام لشعوب المنطقة استنادًا إلى القرآن والسنة المحمدية وإرثها التاريخي والثقافي. بادئ ذي بدء، لم يكن أشد المتشائمين



السعودية الجديدة



يوسف عسكر



استسلامًا وقبولًا لفكرة حتمية التخلف الحضاري وديمومته، أن يستوعب حجم التغيير الذي طرأ مؤخرًا على مجريات الأحداث في الداخل السعودي والتحولات الحياتية والثقافية والاجتماعية الكبرى الجارية فيه حتى اللحظة ومنذ خمس سنواتٍ مضت، ذلك أنها بؤرة التخلف والأصولية كما يعتبرها الكثيرون، والبلد الاستثنائي الذي يتخذ وضعيةً دينيةً خاصةً ومكانةً تاريخيةً وجغرافيةً مقدّسةً يعيش فيه مجتمعًا متدينًا محافظًا يحمل هويةً عربيةً إسلاميةً أصيلةً قدّمته ليكون محور العالم الإسلامي وقلبه النابض والمعقل الأخير للتراثيّين المسلمين أمام مد الاغتراب والحداثة الغربية المعاصرة!

كل هذه الاعتبارات، إضافةً للثقافة المحلية والشعبية للمجتمع السعودي ذي الطابع القبلي، في مُجملها والرافضة شكلًا وإيمانًا لأي تفاعلٍ حضاريٍّ مع أي موجّهٍ خارجيٍّ قد يدفعها بعيدًا عن صلادتها الإسلامية؛ أقول إن كل هذا الاعتبارات قد أحدثت شرخًا وشقاقًا عميقًا وقطيعةً أمام أي شكلٍ من أشكال الاندماج الثقافي مع العالم المتحضّر والانحلال فيه، وقوبل ذلك بتعلّق الشخصية السعودية بالتقاليد الموروثة وتعظيمٍ متطرفٍّ لا جدال فيه للتراث الإسلامي وإقصائيةٍ مُقيتةٍ تجاه كل مظهرٍ آخر مختلفٍ عنه، مما حرَم السعوديين من فُرص النهضة والتحوّل والمواكبة-كعادة أي مجتمعٍ طبيعي- أيّا كان هذا المستوى القيمي والأخلاقي أو الفكري والثقافي.

وفي المستوى المعيشي والتقني والنُظم الإدارية الحديثة، وجرّاء حيازة امتياز النفط وتدفق المال فقد وصلت التقنية الحضارية الغربية للسعودية مثلما وصلت لبقية المجتمعات البشرية-كلٌّ بما يملك- فاستهلكوا نُسختهم منها على مضض، مضطرين وبحذرٍ شديدٍ وتوجّسٍ بالغٍ تحت ضغط إرادة البقاء إلى تبني بعض الأنماط الشكلية للحياة في الدول المتقدمة، فحدث نموٌّ مُطردٌ في المنظومات الإدارية والتعليمية والخدمية الاستهلاكية فأذهلت هذه المتغيرات المجتمع القبلي المتدين المُنغلق فكرة التطور بعيدًا عن الإسلام ودون الحاجة له، مما أحدث اختلالًا بين التوازنات الروحية والإيمانية لديهم من جهة، وبين الواقع المادي حولهم من الجهة الأخرى. فإذا كان الله قد أعزنا بالإسلام، فقد أعزّنا والإسلام بالغرب!

وسط هذا كله، كانت السُلطة الحاكمة اللاعب الأساسي في بلورة شكل المجتمع وواقعه، فكان صيدًا سهلًا مارست عليه شتى الوسائل البراغماتية للاندراج معه وإحكام قبضتها عليه عبر ممارسة الكهنوت الديني الذي تناغم هو الآخر معها فكان رافدًا للحُكم، وداعمًا مؤثرًا له.

فقد قدّم الحُكم السعودي مجتمعه إلى سُلطة رجال الدين فيه-أوكليروس!





السعودية الجديدة

يوسف عسكر

ووفّر لهم غطاء السيادة الداخلية وصلاحياتٍ كُبرى للسيطرة عليه وتوجيهه حسب ما يقتضيه المشرّع الإسلامي وولاة أمره! فتخلّف وعي المجتمع وانعدمت لديه سُبل النهضة والمدنية والتطور الثقافي وانجرّ إلى الماضي فتدنت فيه قيم الحرية والإبداع الفكري وأُستُعبد السعوديون أيما استعبادٍ وبُخست حقوقهم المدنية والإنسانية وتباطأت وتيرة وديناميكية الحياة وأصبحت المملكة أشبه ما تكون بالإقطاعيات الكلاسيكية الأوروبية الغابرة!



فُرضت التقاليد والتعاليم الإسلامية فرضًا وفي كافة أشكالها البالية، وتأدلج المجتمع واستُلب عقله الجمعي، وأصبحت حياته كلها تدور حول الإسلام وأوامره ونواهيه وما يجوز وما لا يجوز وطُمست المرأة وتخلّف الرجل وتردى التعليم وحُرّمت الموسيقى وتبلّد التفكير واختفى الإبداع الفني وخرجت البلد عن العالم!

ولأن الإسلام دينٌ لا يهدأ أبدًا، فإذا لم يجد من يحاربه بالخارج انقلب إلى الداخل ليحارب نفسه!

ومع التوسّع والانجذاب للمنتج الغربي المادي، ونفوذه وتأثيره المدفوع بحضارته ومدنيته إلى العالم، حصل الخلاف والاختلاف، ونشأت بربريةٌ اجتماعيةٌ جديدةٌ تشكلت على إثرها لدى بعض الشباب والشابات إطروحاتٍ وتوجهاتٍ صحويةً رجعيةً صاغت شرط التقدم للأمام بالعودة إلى الخلف، راغبةً بالمزيد من العودة وطامحةً لإعادة الإسلام إلى واقعه الأول وفطرته القويمة، وظهرت تحركاتٌ عنيفةٌ في داخل المجتمع تنادي بالثبات على المكتسبات والأصول الثقافية للإسلام وترفض ماسمّوه بالغزو الفكري والهيمنة الغربية الثقافية المتنامية في مناحي الحياة العامة والمتمثلة في تقنياتها وأدواتها الهادفة لتغريب المجتمع وانحلاله، فتنازعوا مع كل جديدٍ ومستحدث، واستهجنوا كل مَعلمٍ حداثيٍ غربي، وكفّروا كل ملمحٍ وسلوكٍ لها.

وأصبحت الأحاديث اليومية لا تخلوا من ذِكر الحلال والحرام والموت وعذاب القبر وكيف تُقرض الله قرضًا حسنًا، وصار الناس يقضون جُل حياتهم يتحضّرون لكيفية الموت، وللذخيرة الواجب عليهم إعدادها لما بعد الموت، وأصبح رفض الحاضر والتقوقع وتقديس الماضي سبيلًا لتأكيد ذاتهم المسلمة، وشرطًا لتحقيق هويتهم الدينية.

السعودية الجديدة





يوسف عسكر

و توّجت هذه التحركات بحادثة جهيمان الشهيرة عندما احتجّ على التغريب واحتل الكعبة من أجل تغيير العالم!

استمر الوضع بالاضطراب والشد والجذب، وتدهورت البلد ثقافيًا وحضاريًا وظُلمت النساء كونهن الحلقة الأضعف في العقلية الإسلامية بطابعها القبلي، وتغوّل الذكر المسلم عليهن، وسُلبت أبسط حقوقهن فلا بطاقة هويةٍ لهن ولا تستطيع إحداهن حتى استخراج شريحة موبايل إلا بوجود رجلٍ مِحرَمٍ يعرّف عليها،



جانب من حادثة بن جهيمان 1979

ومُنعت من قيادة السيارة والسفر وفُرضت عليها العباءة السوداء والحجاب الأسود ونقاب الوجه وتغطية اليدين والأرجل، وعدم التبرّج وارتداء الملابس الضيقة حتى في المنزل، وانحصر وجودها في المطبخ وغرفة النوم، والقبر! ومُنعت من التصوير الفوتوغرافي باعتبارها عورةً، وأينما تذهب تكون مثارًا للشك والريبة والتوجس، لما لا وهي التي تُقبل في صورة شيطانٍ وتُدبر في صورة شيطان-كما في الحديث النبوي.

ومورس الحشو والتلقين على الأطفال بغرض إعادة إنتاج نُسخٍ جديدةٍ مكررة، في قوالب جاهزةٍ أُعدّت مسبقًا، وانتشرت حلقات الذكر وتحفيظ القرآن والأنشطة الصحوية التي فرخّت أجيالًا مشحونةً مغيّبةً تعيش حرفيًا بعقلية القرن السابع الميلادي!

دخل التحريم والتحليل في كل شيء، فلم يكن الاحتفال بعيد الحب أمرًا مقبولًا واعتُبر عيد الأم بدعةً شركيةً، أما التلفاز والساتلايت فهي حرامٌ ومؤامرةٌ ماسونيةٌ لاختراق البيت المسلم من الداخل لتمييع أبنائه وإفساد بناتِه وزعزعة عقيدة المسلمين والقضاء على مستقبل الإسلام! وهذا بالضبط ما كان يدور دون مبالغة!

توالت السنون، وفي خضم الضغط الحضاري المتواصل، وبشكلٍ أساسيٍ في ما يخص التقنية، والتي تمثّل كل أداةٍ منها قيمةً ثقافيةً جديدةً ودخيلةً على الثقافة الإسلامية فقد احتار الوعي الجمعي بين قبول هذا الواقع الحضاري القادم إليهم كما هو، أو رفضه كما هو، وكان لهذا تأثيره البالغ على نفسية وشخصية السعوديين، حيث خلقت ذاتًا مضطربةً متناقضةً قابعةً بين القيم الثقافية الغربية وتحوّلها لحاجياتٍ يوميةٍ لهم، وبين المتاريس الذهنية والوهمية للإسلام والثقافة المحلية.

بين الأصالة وتحقيق الذات والانقطاع عن العالم، وبين النهل من علوم العالم وتقنياته وقيمه وكمالياته وأدوات عيشه!



يوسف عسكر



السعودية الجديدة

بين انحطاط الواقع الإسلامي وبين نهضة الغرب، بين تقدّمهم هم وتخلّفنا نحن! بين رداءة المنتج القيمي الاجتماعي والثقافي للإسلام وبين صموده أمام المنظومة الحضارية الصاعدة بكل ما تحملها من عناصر الجذب وأشكال النهضة والتحرر والقيم الإنسانية النبيلة الواعدة، فاتخذت الحياة شكلًا إستاتيكيًا في المملكة، وتقدم العالم حولنا بينما عشنا نحن إحراجًا مأساويًا أوقَعنا الإسلام به ولا مخرج لنا منه، ودخلنا في نقاشاتٍ اجتماعيةٍ عقيمةٍ وصارمةٍ وصراعاتٍ مستمرةٍ حول ما إذا كنا نريد الانخراط بالعالم، أو الإصرار على الخروج منه، ساهم بذلك الدفع المعنوي والثقافي للمسلمين حول العالم ناحيتنا باعتبارنا القدوة والملاذ الآمن له من السيطرة الغربية الساحرة عليه.

ولم يكن هناك ثمة أملٌ بانفراجٍ قريب، ذلك أن السُلطة الدينية تمثّل أحد أذرع الحُكم السعودي وأداته الفاعلة في تحقيق شرعية الحُكم في المملكة وبسط سيادتها على الشعب، فتعرّض دعاة التنوير والإصلاح لشتى أنواع التضييق والتنفير والتكفير، وصارت كلمة علمانيٌ رديفةً للشرك والانحلال الأخلاقي و«الدياثة»، وسُجن عددٌ منهم وتمت ملاحقة وإسكات البقية الحُرة الداعية للحداثة والتنوير، وتسيّد الإسلامويون المشهد العام في الدولة وانجر خلفهم وقدّسهم العامة من الغوغاء والدهماء وأصبحوا الأنموذج المثالي الذي يجب تصديره إلى الدول المجاورة لتخليصها من حالة السَخط الحضاري وجحيم التبعية للنهضة الغربية الدخيلة عليهم، وتم لهم ما أرادوا، ورأينا نماذج مماثلةً في دول شمال أفريقيا والخليج والشام ودول الشرق الفقيرة، فانتشر الداء وتفشى التدين وازدادت الدروشة، الأمر الذي جلب معه المزيد من التأخر والتخلف وحالة الانحطاط العامة التي أصابت المجتمعات العربية الإسلامية، إن هي على المستوى التربوي والثقافي أو السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

قد يبدو ما سبق مألوفٌ ومعروفٌ للمتابع المهتم، وهو بمثابة الديباجة التي سنرتكز عليها لفهم التداعيات اللاحقة التي حصلت ولازالت مثار جدلٍ وإبهارٍ وتساؤلٍ حول السعودية الجديدة التي نحن بصددها الآن.



توالى الملوك على السعودية واستمرت آلية الحُكم هي نفسها، حاكمٌ يملك وكهنوتٌ يُفتي، مع بعض التغييرات الطفيفة التي يفرضها التفاعل مع الواقع العالمي فيما يتعلق بالإنسان وحقوقه المدنية وقيم التسامح والمشاركة ومفهوم الدولة الحديثة والمواطنة، وكانت المملكة تخطو خطاها بحذرٍ شديدٍ تملقًا ومخافة الصدام مع المحاذير الشرعية التي أطّرها التيار الديني للمجتمع، وكان ذلك حتى مجيء الملك سلمان إلى سدّة الحُكم السعودي ومن خلفه ابنه الشاب محمد بن سلمان.



يوسف عسكر



السعودية الجديدة

استلم الملك سلمان مهمة الحُكم وتولى قيادة مركز القرار السيادي للمملكة، في واقعٍ داخليٍ ضعيفٍ ومتخلفٍ وعلى الصورة الآنفة الذكر، ومع ظروفٍ خارجيةٍ متوترةٍ خاصةً فيما يخص الوضع الإسلامي والعربي والطائفي وتصاعد الانقسامات فيه، وفراغٌ واضطرابٌ



سياسي، رافقه تذبذباتٌ اقتصاديةٌ وأزمةٌ ماليةٌ تلوح في الأفق وتهدد الأمن الاقتصادي لبلدٍ استهلاكيٍ يستمد بقاءه من المال الذي يأتيه عبر تدفق النفط في أرضه دون أي موردٍ صناعيٍّ وإنتاجيٍّ تنافسيٍّ آخر بديل. فدفعت هذه الأوضاع العامة الداخلية والخارجية المملكة للتفكير بإعادة التموضع مجدداً والتخطيط الجدي للخروج من الواقع الراهن بصورةٍ مختلفةٍ ووجهٍ جديد، وكان لابد معها من إجراء تغييرٍ ما يُحدث قفزةً تُنقذ البلد السائر في طريق الهاوية.

وبُعيد تولي الملك سلمان للمُلك، بدأت ملامح الرغبة بتغيير السيناريو القديم الذي اعتاد بدوره تسلسل السُلطة وتمكين الرموز الدينية من التحكم في مفاصل الدولة، فعمل الملك الجديد على صنع خارطة طريقٍ جديدةٍ للمملكة تمرّ بأربع مراحل رئيسية:

أولًا: التأسيس لنفسه القدرة على التغيير،

ثانيًا: إجراء هذا التغيير،

ثالثًا: مداولة السلطة بسلاسةٍ وبأقل ردات فِعلٍ ممكنة،

رابعًا: البدء بتنفيذ خطة التغيير الشامل والتطور الحالم والمنشود للمملكة.

فحدث وأن نجح الملك في مساعيه تلك نحو التغيير، وصعد إثرها وبطريقةٍ دراماتيكيةٍ الابن الشاب والقادم من حيث لا يعرف أحد، محمد بن سلمان، إلى ولاية العهد، مع صلاحياتٍ لا محدودةٍ ليتمثل بعدها بصورة أيقونة الإصلاح والتغير والمستقبل القادم للمملكة، وجاءت معه أحلام وتطلعات الشباب السعودي في بلورة فكرٍ وشكلٍ جديدٍ للبلد يختلف عما كان عليه بالسابق في تعاطيه للقضايا الداخلية والخارجية، وإعادة السعوديين إلى جادة العالم ومواكبتهم له ونقلهم من ذلك المجتمع المتخلف ذي المكانة الاستثنائية العصيّة على التطوير إلى المجتمع الطبيعي المتغير!

السعودية الجديدة



يوسف عسكر

وبدأ بن سلمان بجذب الشباب السعودي بالإعلان عن اهتمامه بهم واستعداده لإعطائهم الفرص والاستفادة من قدراتهم في رسم خطة التغيير الكبرى المزمع القيام بها نحو تحقيق سعوديةٍ جديدةٍ ومجتمعٍ متقدمٍ منفتحٍ واقتصادٍ مكينٍ متعدد الموارد.

وفي سبيل تغيير المجتمع هناك رؤيتان اقتصاديتان في هذا الصدد:



الأولى: نظرية «ماركسية» ترى أن التحولات الاقتصادية هي التي تُحدث تقدمًا في الوعي الجمعي، وتدفع الناس للتغيير.

وتتقاطع معها نظريةٌ أخرى لـ «ماكس فيبر» ترى بالتحولات الثقافية والوعي الجديد للمجتمع هي الأساس المؤدي لخلق اقتصادٍ جديدٍ وأشكالٍ جديدةٍ للإنتاج.

إذن، هناك منظومةٌ قيميةٌ يجب أن تتغير لكي يحدث تحولٌ اقتصاديٌ بشكلٍ أكبر، ومنظومةٌ اقتصاديةٌ يجب أن تتغير لاستحداث مجتمعٍ منفتحٍ بشكلٍ أكبر. فانطلق ولي العهد في دمج المنظومتين معًا كما يبدو، وعبّد الطريق نحو إصلاحاته بتبني فكرة الإسلام المعتدل والمتجدد وأعلن بدءًا بأهمية إعادة صياغة التدين السعودي ليتماهى مع أخلاق الإسلام وروح الرأسمالية! ولاحِظوا أنه يستعمل نفس السلاح الذي حمله الصحويون قبله كنقطةٍ إصلاحيةٍ للمجتمع، عندما نادوا بوجوب العودة للإسلام الأول والتمسك به كشرطٍ أساسيٍّ في سبيل تحقيق نهضته!

وكلهم إصلاحيون يدّعون تقديم إسلامٍ حضاريٍ فاعلٍ كأنموذجٍ بديلٍ لواقعنا المتخلف، فهل هناك فعلًا إسلامًا معتدلًا وصالحًا للتطبيق عبر تاريخه كله؟ سوف لن أستطرد في هذا الأمر وللقارئ الكريم حرية البحث عن هذا الإسلام المتخيل وإرساله إن وجده مشكورًا إلينا في السعودية.

نعود إلى محمد بن سلمان، والذي فتح الطريق أمام التغييرات الاقتصادية الكبرى في البلد، وأطلق رؤيته الشهيرة، رؤية 2030، والتي نالت اهتمامًا غير مسبوقٍ لأي رؤيةٍ مماثلةٍ لها في العالم، وأعلن الدولة الفتية المنفتحة على العالم والمستعدة للتعاطي مع الجميع، وكان التحدي الأكبر أمامه هو وجود مطلبين للتغيير وتنفيذ التطور الشامل للبلد وجذب العالم إليه، المطلب الأول يقتضي إجراء التغيير البطيء والحذِر وأخذ المزيد من الوقت تجنبًا للصدام مع المجتمع الصحوي وتحسبًا للتبعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المحسوبة المتأتية من التنفيذ،



يوسف عسكر



السعودية الجديدة

المطلب الثاني يرى استخدام إسلوب الصدمة والمفاجئة والتغيير المتسارع وكسب الوقت بأقل خسائر ممكنة، فالبلد تأخر كثيرًا عن العالم وعليه اللحاق به، والشباب يشكّلون مانسبته 70% من السكّان، وهم رُباة التقنية الغربية وليسوا بعيدين عن العالم.

وبالتالي يمكن استمالة وعيهم للتحديث وإثارة حماستهم ومشاعرهم لجعلهم توّاقين للنهضة والتجديد.
وكان ما كان وتم إعلان القرارات الاقتصادية الكبرى بهدف تنويع مصادر الدخل وجذب رؤوس الأموال إلى السعودية، تخلل ذلك حملات اعتقالٍ شرسةٍ ضد الأمراء الفاعلين في البلد والأعيان والتجار بالداخل السعودي لإخضاعهم والقضاء على الدولة العميقة ومراكز القوى المهددة لوجود بن سلمان، وكل هذا تم بدعوى اجتثاث الفساد بالبلد قابلها ظهورٌ إصلاحيٌّ لولي العهد يستعرض فيه رؤيته المستقبلية ووجوب السير خلفه لتحقيقها واستعداده لتدمير كل من يعترض طريقه في تنفيذ ذلك، جُوبِه خلالها بصيحات استهجانٍ واعتراضٍ من قِبل المتدينين المتذمرين من الاتجاه العلماني لتغريب البلاد وتخريب وإفساد المجتمع العذري المحافظ والذين لم تتخطَ انفعالاتهم تلك مرحلة التنظير الصوتي التي سرعان ما انكمشت بعدما اتخذ تجاهها سياسةً قمعيةً صارمةً ومتوحشةً وأظهر للناس كم كان هذا البعبع الديني صرحًا في خيالهم فهوى.
ولم يقتصر القمع على رجال الدين والمحافظين بل تعدى ذلك ليطال كل رأيٍ آخر مناوئٍ له، فاعتقل الرموز الدينية المعارضة وسجن الحقوقيين والنسويات واتهمهم بالعمالة والخيانة ونكّل بكل صوتٍ يعلو فوق صوته وكل ملمحٍ يلوّح منتقدًا لمسيرته إن هي على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي، واستحوذ على الإعلام المرئي والمسموع والصحافة ووضع يده في وسائل التواصل الحديثة وجيّش الآلاف فيها للدفاع عنه وتعظيمه والتسبيح بحمده وأحاط حوله مشايخ العرض والطلب-الحمير الذين يحملون أسفارًا- ليؤدّوا ما يصطلح تسميته بـ «إسلام السوق» بغرض سبغ هالةٍ دينيةٍ معتدلةٍ ومحتشمةٍ عليه فكانوا امتدادًا للحركة الجامية التي ترى العصمة والقداسة في الحاكم وحرمة الخروج عليه، واستقطب رموز السياسة والاقتصاد والفن حول العالم وبذخَ في الصرف عليهم وتعاقد مع كبرى المؤسسات العالمية المعنية في العلاقات العامة للترويج له وتلميعه وتسويق رؤيته، وطارد المعارضين بالخارج بشتى مشاربهم وتجسس عليهم وحاول استمالة البعض منهم وتصفية الآخر الميؤوس منه، وأحدث تغييراتٍ جذريةً لصالح المرأة السعودية فوسّع لها المجال للمشاركة المهنية الفاعلة بالمجتمع وسمح لها بقيادة السيارة وحرية السفر والملبس والعمل واستحدث لها مؤخرًا منتخبًا سعوديًّا نسائيًّا لكرة القدم! وأعاد لها وإلى حدٍّ مُرضٍ بعضًا من حقوقها المدنية المسلوبة وأصبحت آلته الدعائية أمام العالم ومحل عنايته واهتمامه وفق منظورٍ متحضرٍ يرى في المرأة القاعدة الأساس في بناء أي مجتمعٍ حضاريٍّ حديث.

ومكّن النساء والشباب من استلام بعض القيادات الإدارية وأعطاهم الفرص لإبراز ما لديهم من تطلعاتٍ ومواهب وفي حدودها الدنيا التي رسمها هو لهم، وفتح المسارح ودور السينما في البلاد واستقطب الرموز العالمية في الرياضة والفن، وتحررت المرأة من طوقها المحافظ ورأينا الحفلات الموسيقية الراقصة والمختلطة وسُمح بتدفق السياح للترفيه في المملكة وتغيّرت البلاد بأسرها في مشهدٍ دراميٍّ لا يمكن تصوّره لمن شاهد السعودية قبل عهدٍ قريبٍ، فتحقق شيئًا من التغيير الاجتماعي المنشود الذي طالما تمنينا حدوثه وعلى يد هذا الفتى القادم من خلف عباءة أبيه إلى سدة الحكم والسيادة والنظرة السعودية الجديدة إلى العالم.



السعودية الجديدة



يوسف عسكر

في الجانب الاقتصادي، فقد خطّ للسعودية الجديدة طريقًا مختلفًا تسير فيه، شابهُ العديد من الإخفاقات والمغامرات المندفعة والنابعة من حداثة بن سلمان وقلّة خبرته في تولي قيادة القرار السياسي والاقتصادي للمملكة،فارتكب العديد من التخبطات التي أفضت إلى نتائج معاكسةٍ لما يطمح إليه من تنويع مصادر الطاقة والدخل وجذب الاستثمار الأجنبي للبلد والتخلي الجزئي عن السياسة القديمة بالاعتماد الكلي على النفط واتخاذه الدخل الوحيد للدولة وإكسير بقائها واستمراريتها والمنجاة لها من الانهيار! فمقابل كل تلك الإصلاحات الاجتماعية الكبرى، وحملات مكافحة الفساد واعتقالات التجار ورؤوس الأموال وتقليص النفقات العامة كان هناك ركودٌ اقتصاديٌّ وتذمرٌ شعبيٌّ ناحية ارتفاع مستوى البطالة وانخفاض مستوى الرفاهية المعيشية وفرض الرسوم والضرائب وارتفاع تكلفة الخدمات والتحايل على الناس بإدعاء سَنّ عددٍ من السياسات التنظيمية الهادفة في جوهرها لجباية الأموال من الشعب من أجل توفير النقد اللازم للمصروفات المتزايدة والمكلّفة التي تتطلبها سياسة التحوّل الشامل للمملكة في مجالات الرياضة والترفيه وتأليف القلوب المؤثرة في مجالات السياسة والاقتصاد والفنون المتنوعة.

وتراجع مستوى الرفاهية في البلاد، وتدنت البلاد اقتصاديًا وماليًا ولم تتحقق حتى الآن التطلعات الشعبية المنتظرة ولم يحدث أي تنويعٍ فعليٍّ في مصادر الدخل الحكومي إلّا من جيب المواطن والمقيم وسحق الطبقات المتوسطة والفقيرة في البلد، فقلّ عدد الأغنياء وازداد عدد الفقراء.

وعلى المستوى الحقوقي والثقافي العام فقد انحصرت مفاهيم الحداثة والتقدم لدى شريحةٍ شبابيةٍ كبيرةٍ في حدود الحفلات الراقصة والتحرر من قيود الصحوة وخلع النقاب عند النساء ولبس العبايات الملونة، وتجاهلوا القيم الحداثية العُليا ومبادئها وفِكر الإنسان الحديث وإرادته الحرة وحقه في المشاركة السياسية وتقرير مصيره وإهمال حقوقه المدنية، وتراجع مستوى الحريات الصحفية والحقوقية وتأصّل حكم الرجل الواحد والصوت الواحد والقرار الواحد، وتسلّط الحُكم على الناس وتدنت حرية النقد والتعبير وازداد الهوس والتنمّر تجاه أي انتقادٍ يمس المعبود الجديد، محمد بن سلمان، وانتقل المجتمع من موقع التطرف الديني إلى ممارسة الفاشية الوطنية ضد المخالفين له حتى من أبناء جلدته، وتعالت الأصوات بضرورة التخلي عن القضايا القومية التي طالما تبنتها المملكة وسعت لحلحلتها، وأصبح كل مناوئٍ لسياسية بن سلمان هو بالضرورة عدوًا للمملكة وخائنًا للأمة ومرتزقًا وحاقدًا، وتأصلت الأنانية والفردانية وتم تغليب المصلحة الخاصة في نفوس العامة ومارست الدولة الإرهاب الداخلي على الشعب لمنع أي شكلٍ من أشكال التجمع والتظاهر المعرقل للمسيرة السلمانية وعرّابها الفتى محمد بن سلمان.





يوسف عسكر



السعودية الجديدة

أما على الصعيد العام والأحداث اليومية، فهناك حالة تسارعٍ ملحوظةٍ في كل شيء، ويغلب عليها الطابع الارتجالي المندفع نحو التحول، ففي كل يومٍ هناك قرارٌ جديدٌ وبدعةٌ جديدة، ومشكلةٌ جديدةٌ وإصلاحٌ جديد!

فاهتزت الثقة بالدولة إلى حدٍ كبيرٍ وتزعزع الشعور بالطمأنينة والاستقرار، وطغت سياسة إحداث الصدمة والمفاجئة وأصبحت هي أسلوب الحكم!



متظاهرٌ يضع قناعًا لوجه بن سلمان وعلى يديه دم

هذه هي السعودية الجديدة إذن، بلدٌ على عجلةٍ من أمره، يسابق الريح ويتحدى الزمن وينشد التطوير، وهذا محمد بن سلمان كما هو بإيجابياته وسلبياته دون تشذيبٍ وتشويهٍ وتلميع، شابٌ يافعٌ جريءٌ ومتهور، يمتلك الأرض السعودية ومن عليها ويرغب باستبدال مجتمعٍ قديمٍ فاشلٍ بآخر جديدٍ مُنتجٌ وعصري!

وهو على استعدادٍ تامٍ وشرسٍ لتقطيع كل صوتٍ معارضٍ له وتحويله إلى أشلاء متناثرةٍ ثم إذابة جثته بالأسيد! مُستبدٌ حد السحق مع كل صوتٍ إسلامويٍّ صحويٍ يزايد عليه في إسلامه الجديد للسعودية، وأعلن صراحةً وعلى الملأ ألّا وقت لديه لمسايرة تلك الأصوات وسيدمّرهم الآن وفورًا، في سبيل كسب الوقت لتحقيق السعودية الجديدة، بتكلفةٍ زمنيةٍ أقل.

وما ذُكر كله، هو عرضٌ بانوراميٌّ لسيرورة الأحداث الجارية وليس تقديمًا لرأيٍّ خاصٍ وقناعةٍ شخصية، وأنقلها بدوري للمتسائل المتابع الجالس بعيدًا هناك، لتتضح لديه الصورة أكثر.

تبقّى تنويهٌ أخيرٌ وتساؤل:

تنويهٌ إلى أن أي فشلٍ يتحقق الآن سيؤدي إلى صعود مسألة التراث والهوية الإسلامية وبروز دعاة التخلف والانحطاط والرجعية إلى الساحة مجددًا، فالصدام مع الدين ليس كالابتعاد عنه والمتربّصون كُثر،



السعودية الجديدة

يوسف عسكر

وتساؤل فيما إذا كان بن سلمان قادرًا فعلًا على استئصال شأفة هؤلاء تمامًا وتحييدهم بحيث لا تعود لهم القدرة على الظهور مرةً أخرى، وفي أهليته هو نفسه لكسب الرهان على نجاحه في إدارة البلد أمام التحديات الاقتصادية والاجتماعية والأزمات الحالية والقادمة، الداخلية والخارجية منها، وإتقان لعب دور الريادة والقدوة الاصلاحية في الإقليم وأمام العالم الإسلامي أجمع، عطفًا على المكانة الدينية والتاريخية الكبرى للبلد في أذهان المسلمين حول العالم ووفق إمكانياته المتاحة وعقليته الحالية وسياسته في موازنة العلاقات المحلية والدولية للسعودية الجديدة. هذا ما لا نستطيع التنبؤ به، وما سيتكشف لنا في القادم من الأيام.

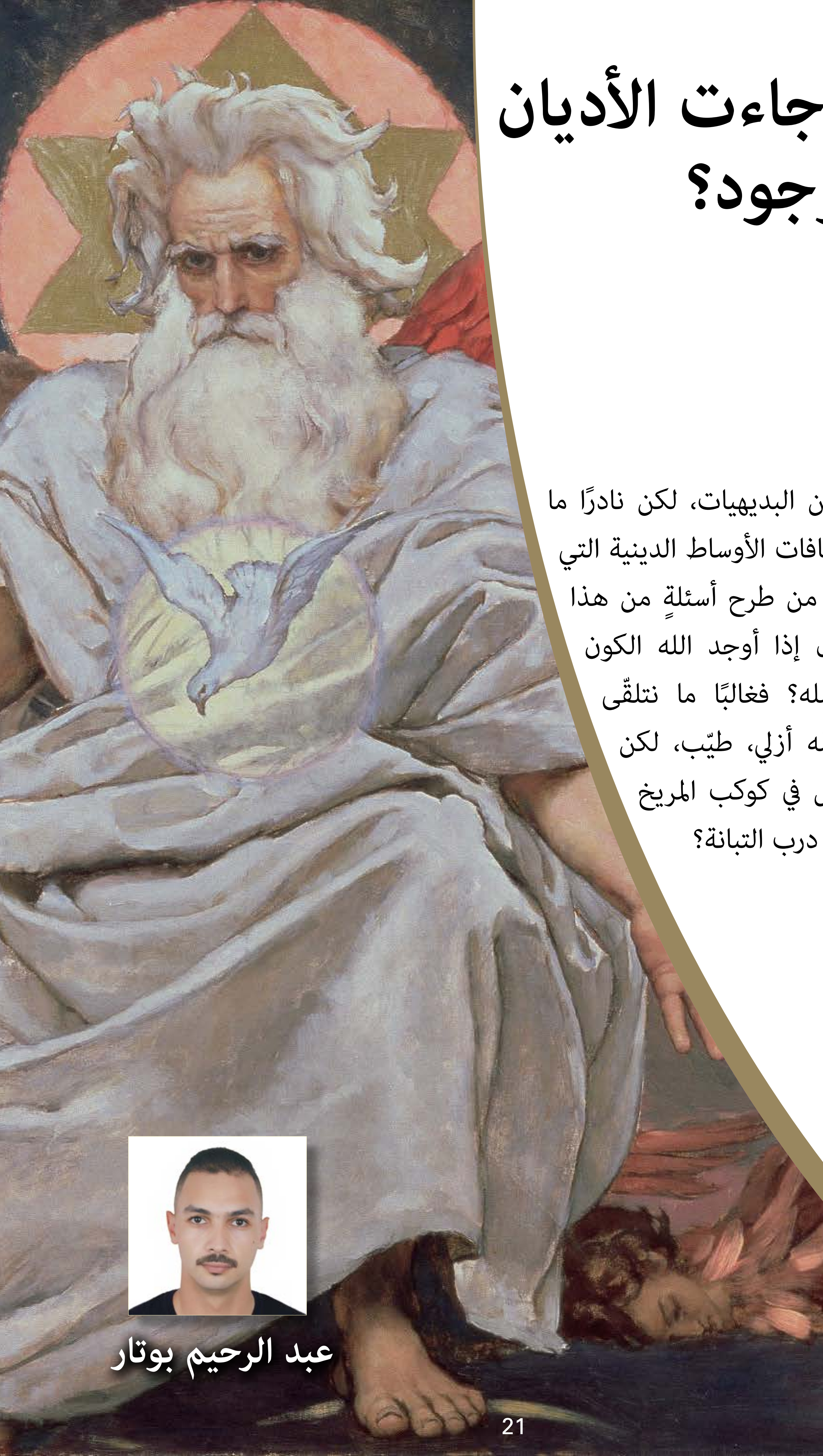
بالنسبة لي، هناك تخبطاتٌ كبرى حاصلةٌ تتجلى في العديد من قضايا الاقتصاد والسياسة في البلد، وعجزٌ عن تحقيق رؤى كلٍّ منها، أو حتى مجرد المضي قُدمًا بها، ومع ذلك فسوف لن أدخل لعبة الرهان لصالح الأمير أو ضدّه، واحتماليات بقاءه من عدمه!

وسأكتفي معكم بالمشاهدة مع يقيني أن الثابت الوحيد في معادلة الحياة هو التغيير، ولن يكون بعد هذا كله قطعًا عودةٌ للخلف.



facebook.com/groups/RadicalAtheists





كيف جاءت الأديان إلى الوجود؟

سؤالٌ يُعتبر من البديهيات، لكن نادرًا ما يُسأل نظرًا لثقافات الأوساط الدينية التي تمنع كل المنع من طرح أسئلةٍ من هذا القبيل، كسؤال إذا أوجد الله الكون فمن أوجد الله؟ فغالبًا ما نتلقّى أجوبةً كأن الله أزلي، طيّب، لكن لماذا هنا وليس في كوكب المريخ أوفي مجرةٍ غير درب التبانة؟

عبد الرحيم بوتار



كيف جاءت الأديان إلى الوجود؟



عبد الرحيم بوتار



الجواب يكون دائمًا «بالحكمة الإلهية» وأن العقل البشري غير قادرٍ على استيعاب هذه الحكمة!!

طيب، لكن لماذا الله خلق لنا عقلًا ولا يريد منا أن نطرح أسئلةً؟ أليس الله كاملًا؟ ولماذا يريد منا أن نعبده إذا كان كامل القوى، فالكائن الذي يريد شيئًا من آخر فهو محتاجٌ لخدمة، فإذا كان الله كاملًا لماذا هو بحاجةٍ لنا؟

غالبًا لا تتلقى أجوبةً منطقيةً أو قائمةً على حججٍ وبراهين عقلية، فتصبح زنديقًا وكافرًا في مجتمعاتٍ تنكر الاختلاف وترى في مقدساتها أولى، وهي الحقيقة المطلقة.

يقول ديفيد هيوم في كتاب التاريخ الطبيعي للدِين أن «الأديان اُخترعت من قِبل الإنسان فقط لعجزه عن تفسير الظواهر الطبيعية المحيطة به»، فلنمثّل الإنسان العاقل الذي هو الهوموسابيان بطفلٍ صغيرٍ خرج إلى الوجود فنراه تارةً يطرح أسئلةً أو يتعجب من الظواهر التي باتت تُعتبر لنا من البديهيات، غير أن هذا الطفل وجد والديه ليشرحا له الأساس أو لماذا وكيف، لكن المشكل في الإنسان العاقل عند أول تطورٍ له لم يجد من يشرح له لماذا وكيف، فوجد بشرًا يموتون بفعل الحيوانات المفترسة، أو هناك من يولَد بمرضٍ فتاكٍ أو يموت في بطن أمه، هناك من مات بفعل ضربة الشمس أو غرقٍ بسبب أمواج البحار، فحاول أن يجد ضالته في آلهةٍ هو الذي اخترعها بطريقةٍ غير مباشرة، فاخترع الجنة والنار كعذابٍ لمن هم طغاةٌ نظرًا لكون العدالة لا تتحقق في عالم الموجودات.

فبدأنا نعبد كل حاجةٍ تبقى حيةً بعد موتنا، كالأنهار والأحجار والشمس...بعد ذلك اعتكفنا على عبادة المرأة لأنها تخصب وتنتج لنا الحياة بين أحشائها ويا ليتنا ظللنا نعبدها، فالمرأة الآن أصبحت مضطهدةً مهضومة الحقوق في المجتمعات المتدينة المتخلفة، فمع أسطورة جلجامش أصبح المجتمع ذكوريًا بامتياز، نظرًا للحاجة في تكوين مجتمعاتٍ تحد من الخلافات القائمة بين الإنسان العاقل، فالرجل ذو البنية الضخمة والقوية أصبح يقود المعارك ويغزو ويسبي لكن المرأة مسكينةٌ ليس في مقدرتها ذلك فقط لأسبابٍ فيزيولوجيةٍ كضعف البنية الجسدية والانشغال بالحمل والولادة! فأصبحت المرأة مرادفةً للشيطان مرةً واحدةً، فنحن نحاول أن نصل إلى الكمال لأننا ناقصون.

كيف جاءت الأديان إلى الوجود؟

بعد الصراع الذي كان قائمًا بين الآلهة، فإلهٌ للشمس يحرق الزرع الذي أنبته إله الخصب وإله الرياح هدم الأبنية التي بفضل إله الأحجار ظلت قائمةً، هنا جاءت فكرة التوحيد، فانتقلت الآلهة الطبيعية التي تتحكم بالظواهر الفيزيائية إلى ملائكةٍ أو خدّامٍ تحت راية الإله الواحد الذي ينشر الشرور بعلة حكمته التي لا نعرف غايتها، نظرًا لكوننا ناقصين وذوي عقولٍ محدودة!!!

فاخترعنا كتبًا ونصوصًا دينيةً جاءت على يد من يصفون أنفسهم بالأنبياء والرسل، فيلقون صدًى ومحبةً لدى الحكماء الذين يرسّخون رسالاتهم لأغراضٍ سياسية، لكن مع التطور العلمي أصبحنا نرى ونستنتج سذاجة تلك الأديان لما فيها من أخطاءَ علميةٍ وتفسيراتٍ غير مبررةٍ بطريقةٍ علمية. فعندما نُقدّم للإنسان المؤمن بدينٍ ما أدلةً على سذاجة معتقده، يخرج بتبريراتٍ غير منطقيةٍ أو التصميم الذكي، لكن يا صديقي، التصميم الذكي ليس دليلًا على وجود إلهك أو معبودك، ومن قال لك أن الكون أزلي؟ أو هناك أكوان متعددة؟

نَظّر كما شئت لكن لا تقول لي أن إلهك أو دينك هو الحقيقة، فالكل يرث دينه من آبائه، فغالبًا ما يموت الإنسان على دين أجداده، فهذا لا يعني أن الإنسان المسيحي أو الهندوسي أو المجوسي لا يعرف دينك، فالعديد منهم قرأ دينك ودين الآخر ولم يقتنع به. فإلهك حسب الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل كالإبريق الموجود خارج الغلاف الجوي الذي لو تطور العلم والأجهزة الكاشفة حتى آخر تطورٍ لن تتمكن من اكتشافه أو رؤيته وتفسيره.

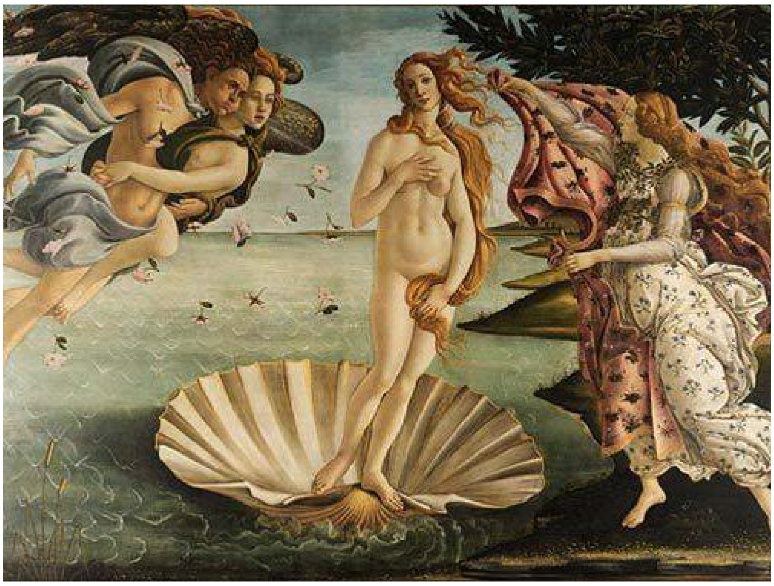




عبد الرحيم بوتار



كيف جاءت الأديان إلى الوجود؟



الشيء الوحيد المقدّس هو الحب، في دواخلنا العديد منه، فكلنا نريد أن نُحِب وأن نُحَب، في داخلنا إحساسٌ غريبٌ بالارتباط بهذا الكون لكوننا خُلقنا من ذراته ومعجونين بمياهه، ففي تأملنا لهذا الكون الفسيح نكتشف أكوانًا في داخلنا، وهذا هو الحنين والرغبة في المحبة التي تربطنا نحن كبشر، فنحن نتعاطف، لكن للأسف الأديان والدين الإسلامي خاصةً يحرّم علينا التعاطف مع الآخر فقط لاختلافنا معه بالمعتقد، فتتجمد قلوبنا، فهو يقص هذا الحنين للأسف وهو أقدس شيءٍ فينا.

إذًا هذا الدين يطمس المقدّس داخلنا ولا يغذيه، المقدّس الحقيقي هو أن تحس أنك مترابطٌ مع كل البشر و حتى مع كل الكون، مع الشجر مع الطبيعة مع كل المخلوقات نحن أبناء نفس المصدر، فالدين الذي يحثك على كره الآخر على أساس دينه فهو ضد المقدّس.

لا تهرب عن الحقيقة والواقع بغطاء دينٍ يحثك على كره الآخر ويحجب عنك الحب!



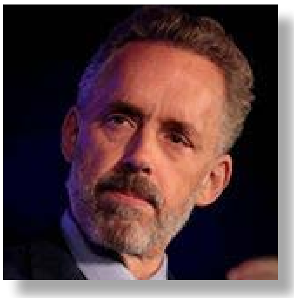




https://www.facebook.com/groups/arbangroup/

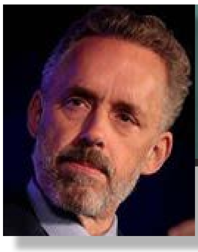
هل التطور مفهومٌ جوهريٌّ للخلق؟





Elhoucin Morona

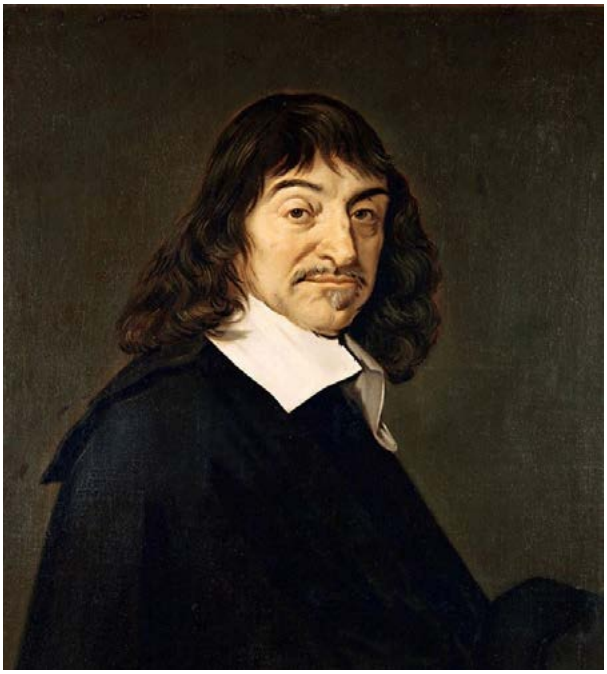
المشكلة لا تتجلى في الاعتقاد بأن التطور هو مفهوم الخلق على الأرض، ولكن المشكلة تتجلى في أن الله يتوجب عليه أن يكون «خالقًا» بما ينطبق على هذه الصفة، لأن فكرة وجود إلهٍ يقوم بتطوير الكائنات الحية



Elhoucin Morona



هل التطور مفهومٌ جوهريٌّ للخلق؟



هذه فكرةٌ غير منطقيةٍ فالتطور عمليةٌ يقوم بها شخصٌ يعاني من عجزٍ مفترض، لذلك فالمشكلة تأتي أيضًا من الفهم الحقيقي للخلق والتصميم والتطور من جانبٍ آخر. أعتقد أن أفضل مفهومٍ للخلق نجده في كتاب الفيلسوف ريني ديكارت، كتاب التأملات الميتافيزيقية، حيت يقول: إن المصورين وإن بذلوا ما أوتوا من قدرةٍ على تمثيل بنات البحر، والتيوس الآدمية، في أشكالٍ غريبةٍ جدًا، وبعيدةٍ عن المألوف، لا يستطيعون رغم ذلك أن يضفوا عليها أشكالًا وطبائع جديدةً كل الجدة، وإنما الذي يصنعونه هو مزيجٌ وتأليفٌ من أعضاء مختلف الحيوانات. وإذا جمح الخيال عندهم، فابتدعوا شيئًا يبلغ مرتبةً من الجدة، لا يرى أحدٌ قطٌ له مثيل، فإن عملهم سيكون شيئًا مختلقًا، بالأساس وزائفًا كل الزيف.

يذهب ديكارت[1] في هذا التفسير إلى حدودٍ بعيدةٍ جدًا، تعطي مفهومًا واحدًا لهذا النشاط وهو أنه غير موجودٍ في قوانين الطبيعة والعقل، إنه افتراضٌ لإظهار شيءٍ من العدم.

حسنًا هل قامت الطبيعة بإنتاج الكائنات الحية من العدم؟ هل الانتخاب الطبيعي يسير في هذا المسار؟ هذا ما سنعرفه من خلال فهمنا للفَرق بين التصميم والخلق وبين أسلوب الطبيعة في تشكيل الكائنات والأعضاء الحية.

لماذا لا يقدّم لنا مجتمع التصميم الذكي مفهومًا مباشرًا لهذا النشاط؟ أعتقد أن كلًا من الخلق والتصميم يشتركان في نفس المعنى جوهريًا، حيث قدّم الخلق على أنه إيجاد تصميمٍ معينٍ مباشرةً من العدم بحيث لا يجب أن يكون له أي مثيلٍ من قبل! ويجب على الخالق المفترض في شخصيته المهنية أن ينتج تصميماته لأجل غايةٍ وهدفٍ محدد،
(أعتقد أن هذه الشروط أيضًا تنطبق على المصمم المزعوم، وعدم وجود هذه الشروط يعني سقوط لقب المصمم أو إبدال هذا اللقب بصفةٍ أخرى).

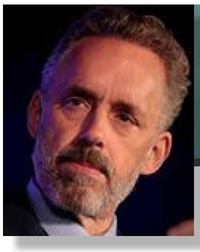
مثل هذه المفاهيم لا تقبلها الطبيعة، هناك انقراضاتٌ حتميةٌ تعرضت لها الأنواع في تاريخ الحياة، لا يوجد شيءٌ يتم خلقه لغايةٍ محددة، في ظل هذا البناء والهدم الذي يعكسه سلوك الانتخاب الطبيعي
(الانقراضات هي أكبر مؤشرٍ على نشاط الانتخاب الطبيعي)،

هناك نماذج عضويةٌ تُستخدم قد يتم نقلها في نظامٍ جديدٍ لتشغل وظائف أخرى بعيدةً تمامًا عن تلك التي كانت

1- Méditations métaphysiques: René Descartes.

هل التطور مفهومٌ جوهريٌّ للخلق؟





Elhoucin Morona



قد صُممت لأجلها، لا توجد هناك أهدافٌ حقيقيةٌ في الآليات البيولوجية، بعض التراكيب قد يعاد استخدامها بغير قصدٍ (على سبيل المثال الجهة الخلفية في المطارق العادية صُممت بهدف قلع المسامير، تم استخدام الجزء الخلفي نفسه من خلال تعديلٍ طفيفٍ لظهور المطارق الجيولوجية التي تُستخدم في تفكيك الصخر لمعرفة صفاته).

حسنًا، كيف يمكن دحض خرافة التطور الموجّه والتصميم في هذا المقال؟

الأمر بسيطٌ جدًا، ما علينا إلا أن نتعمق في فهم سلوك الانتخاب الطبيعي.

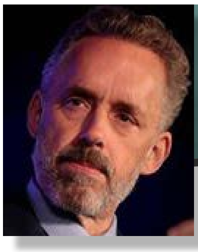
كيف سنفهم سلوك الانتخاب الطبيعي؟

أعتقد أنه يجب أن نطرح سؤالًا استفتاحيًا وهو كيف يسير الانتخاب الطبيعي، ليس في هل هو تدرجيٌ أم استئنافيٌ ولكن هل العملية التي يقوم بها هي خلقٌ أم تصميمٌ أم هندسة؟ ما هو أسلوبه في العمل؟ عندما نتأمل أشكال الحياة على الأرض فإننا نبحث من خلالها عن طبيعة المنتج الذي أنتجها هل هو مهندسٌ أم خالقٌ أم فنان؟ عندما ندرس تصميمًا معينًا فإننا نحاول أن ندرس طبيعة المصمم هل هو مصممٌ حقيقيٌ أم مهندسٌ أم خالق؟ ماهي طبيعته من خلال أسلوب العمل؟ الجواب الحقيقي لكل هذه الأسئلة يتحقق في أن الانتخاب الطبيعي يمكن تصنيفه في حقيقة الأمر مع المصورين الذين أشار إليهم ديكارت!! الانتخاب الطبيعي أيضًا محدودٌ في قدرته على الخلق (لهذا السبب لا يجب على الإله أن يحل محل الطبيعة لأن ذلك يحط من قدرته الكلية)، لا يمكن لإلهٍ أن يضع أهدافًا وغاياتٍ ثابتةً في ظروفٍ بيئيةٍ قاسيةٍ سريعة التغير.



في مقالٍ فريدٍ من نوعه تم نشره في مجلة ساينس Science[2] عام1977 يُعرّف عالم البيولوجيا الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في الطب فرانسوا جاكوب بأن الانتخاب الطبيعي لا يستحضر مستجداته من العدم، إنه لا يستحضر مستجداته من العدم ولكنه يعمل على ما هو موجودٌ بالفعل، يستخدم كل ما هو في متناول يده، الفنان لا يقوم بالإنجاز الهندسي المباشر ولكنه يلجأ إلى تركيب منتجاته بواسطة أغراضٍ كان قد استخدمها في مهامٍ سابقة، هذه هي المادة الخام.

2- Francois Jacob. Science, New Series, Volume 196, Issue 4295 (Jun. 10, 1977).



Elhoucin Morona

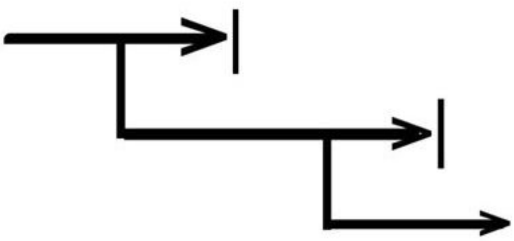


هل التطور مفهومٌ جوهريٌّ للخلق؟

إن الفرق بين الفنان والخالق هو أن الخالق يبدأ عمله من الصفر، وهذا هو الخطأ الذي يقع فيه المعترضون الذين يستخدمون حجة التركيب غير القابل للاختزال عندما يتساءلون حول كيف أن بعض الأعضاء في الطبيعة لم تبدأ من الصفر؟ والجواب الواضح هو أنها ليست من إنتاج الخالق أو المهندس.

سوف أُقدّم أمثلةً مختصرةً قد أعرضها بشكلٍ خاصٍ فيما بعد.
عملية التكيّف المسبق هذه موجودةٌ بشكلٍ ضروريٍّ في تاريخ الحياة، على سبيل المثال يقوم الريش بوظيفة التنظيم الحراري قبل أن يتم تفضيله في عملية الطيران، بمعنى أنه لم يظهر بهذا القصد.
يقول عالم المتحجرات ستيفن جاي غولد Stephen Jay Gould:

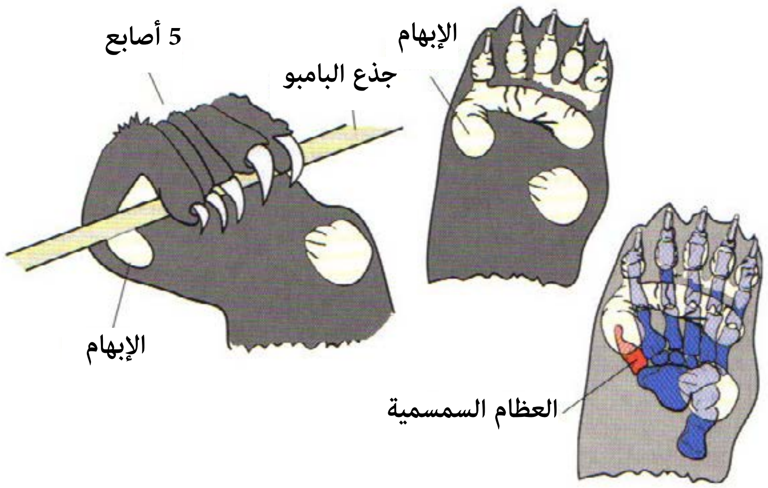
«الأحداث التطورية لم تكن موجهةً لتظهر في الطريق الذي سلكته. (يمكنك أن تفكر - ماذا يا ترى كانت وظيفة تلك الأذرع الصغيرة المعلقة على صدر التيرانوصور؟ إنه لا يمكن التفكير حتى في كونها أذرعًا حقيقيةً، فهي ليست مصممةً لتصبح أذرعًا حقيقيةً 100%، إلى الآن لا يوجد أي تفسيرٍ منطقيٍّ في كونها مستخدمةً للإمساك بالأشياء)، الرئة والسيقان كانت موجودةً قبل الخروج من الماء في رباعيات الأرجل الأولى!



«إن الأحداث التطورية ليست موجهةً بقصدٍ لتسلك الطريق الذي سلكته»

ستيڤن جاي غولد

الزهور العادية أيضًا تمتلك بتلاتٍ طبيعيةً تُستخدم لوظائف مطابقةٍ لشكلها كما هو معروفٌ عند أغلب النباتات الزهرية، لكن عند زهور الأوركيد في نظام التطور المشترك والعلاقات البيئية بين الكائنات، هذه البتلات تم تحويلها إلى بنيةٍ ذات شكلٍ غريب، وأصبحت هذه البتلات تشغل وظائف أخرى (تحولت إلى آليات تمويهٍ وفخاخٍ معقدةٍ لصيد الحشرات، هذا كله لأجل ضمان التلقيح)،



تستخدم دببة الباندا العملاقة عظمًا سمسميًا ممددًا على أنه إبهامٌ لأجل تقشير البامبو الذي يضمن بقاءها! وفي حالة القرد العنكبوتي الخاص بغابات أمريكا الجنوبية، فإن حالته تبيّن بشكلٍ واضحٍ أنه عندما يحتاج حيوانٌ متسلقٌ للأشجار إلى طرفٍ خامسٍ فإنه لا ينميه من جديدٍ وإنما يستخدم ما هو موجودٌ بالفعل! الذيل الذي نعرفه عند أغلب الحيوانات المذيلة تستخدمه هذه القرود كأداةٍ معقدةٍ لتسلق الأشجار.»



هل التطور مفهومٌ جوهريٌّ للخلق؟

Elhoucin Morona

ختام: هل التطور تخطيطٌ موجّه؟

كيف سيتمكن المهندس أو الخالق في وضعية الخلق المباشر بإلغاء هذه الوظيفة في نظامٍ معينٍ ليعيد استخدامها في نظامٍ جديدٍ بوظائف جديدة، إذا كان قد ابتكرها مسبقًا لأجل هدفٍ محدد؟ (الحشرات ذوات الخوذة على سبيل المثال، تمتلك نتوءًا طويلًا فوق الصدر تستخدمه في الحماية من المفترسين.



اكتشف فريق علماءَ فرنسيين من المركز الوطني للأبحاث العلمية من مرسيليا[3] أن الخوذة كانت فيما سبق عبارةً عن أجنحة، وأن مفاصل الأجنحة ما تزال موجودةً في الخوذة! هذا الأمر كذلك ينطبق على الخنفساء المدفعية التي يفتخر بها أنصار التصميم وأن التراكيب الغريبة عادةً ما تنتج عن حلولٍ غير مثالية) إنه التخطيط المسبق للانتخاب الطبيعي، تخطيطٌ ليس له أي هدفٍ حقيقي، لأننا لا يمكن أن نتوقع النتيجة بعد ملايين السنين، إن الأجزاء التي تبدي تعقيدًا غير قابلٍ للاختزال هي أجزاءٌ تكدست بشكلٍ مختصر، وصل إليها الانتخاب الطبيعي من خلال اختزال التدرج في حلول ظروفٍ مفاجئةٍ لا تقبل نمط التدرج البطيء، وإن هذا ما أدّى إلى ذلك المظهر الغريب الذي لا يمكننا أن نقترح له بدايةً حقيقيةً مفيدةً للبقاء.

مراجع:

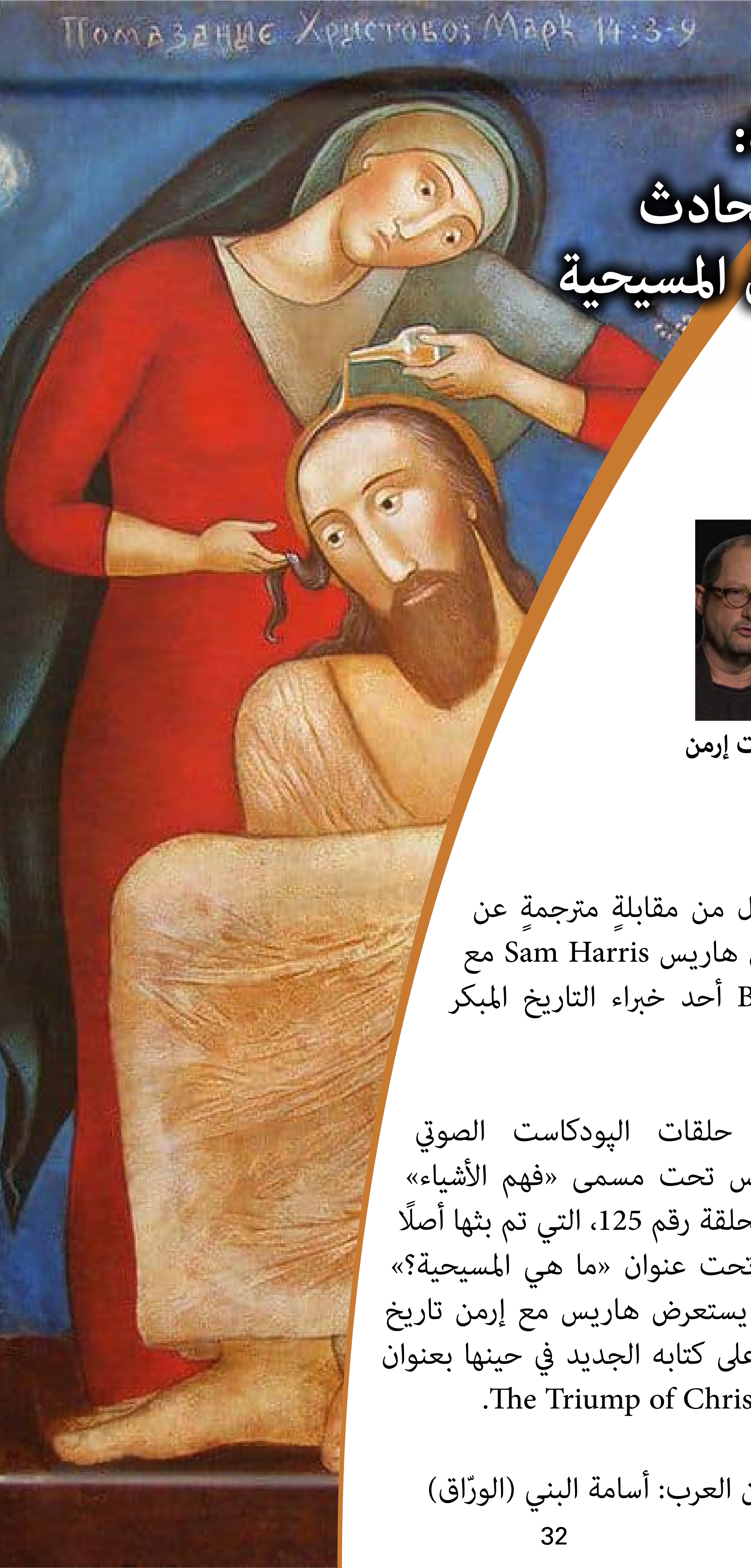
-Du la fértilisatione des orchidées: Charles Darwin.

-Kluge: the haphazard evolution of human mind: Gary Marcus.

-Rocks of Ages: Science and Religion in the Fullness of Life is a 1999 book about the relationship between science and religion: Stephen Jay Gould.

-Le jeu des possibles: François Jacob.

3- Benjamin Prud'homme, Caroline Minervino, Mélanie Hocine, Jessica D. Cande, Aïcha Aouane, Héloïse D. Dufour, Victoria A. Kassner, Nicolas Gompel. Body plan innovation in treehoppers through the evolution of an extra wing-like appendage. Nature, 2011; 473 (7345): 83 DOI: 10.1038/nature09977



مقابلةٌ مترجمة:
سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية
الجزء الثالث


سام هاريس وبارت إرمن

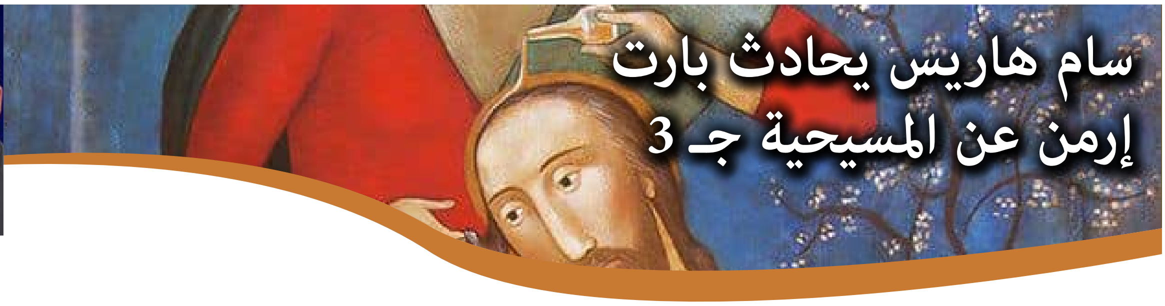
نقدم اليوم لكم الجزء الأول من مقابلةٍ مترجمةٍ عن تاريخ المسيحية أجراها سام هاريس Sam Harris مع بارت إرمَن Bart Ehrman أحد خبراء التاريخ المبكر للمسيحية والعهد الجديد.

أُجريت المقابلة كإحدى حلقات اليودكاست الصوتي الذي يستضيفه سام هاريس تحت مسمى «فهم الأشياء» Making Sense. في تلك الحلقة رقم 125، التي تم بثها أصلًا بتاريخ 1 مايو أيار 2018 تحت عنوان «ما هي المسيحية؟» What is Christianity?، يستعرض هاريس مع إرمن تاريخ المسيحية المبكر مع تركيزٍ على كتابه الجديد في حينها بعنوان «انتصار المسيحية» The Triump of Christianity.

قام بالترجمة لمجلة الملحدين العرب: أسامة البني (الورّاق)



سام هاريس وبارت إرمن

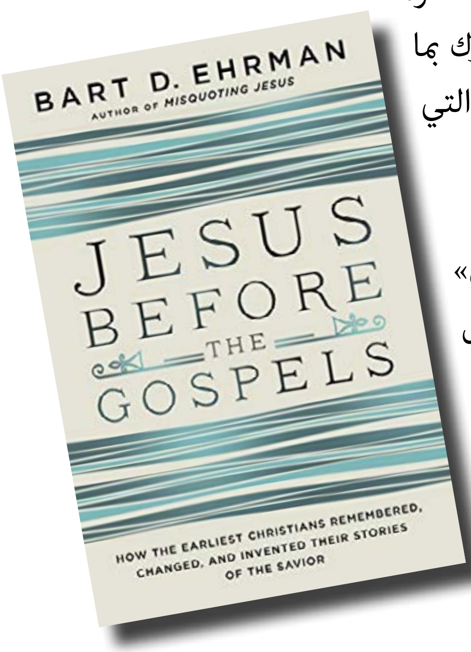


سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



سام: فلنعد لبرهةٍ بالزمن إلى الحقبة التي كُتبت فيها هذه النصوص، استنادًا للأبحاث العصرية، إذ أنك لو قبلت وجود فترة تأخيرٍ كبيرةٍ لزمتْ لتأليف حتى أقدم الأناجيل، فلو كُتب إنجيل مرقس بعد مضي 40 عامًا من موت يسوع، وهذا أبكر النصوص، ولو قسناه على محادثتنا هذه، فكأنما أنا وأنت كنا نتحدث دون الاستعانة بأية وسيلة اتصالٍ أو حتى مادةٍ مكتوبة، وكأننا في عالمٍ نتحدث فيه عن شخصيةٍ تاريخيةٍ تركت أثرًا كبيرًا قبل ما يزيد على جيلٍ ونصف، كالحديث مثلًا عن جون ف. كندي[1] John F. Kennedy أو مارتن لوثر كنغ الابن[2] Martin Luther King Jr، أو أي شخصٍ لم نلتقه شخصيًا، وربما لم نلتقي بأحدٍ التقاه ذاك الشخص، لكنه ترك بقايا منجزات حياته على صورة قصصٍ مرويةٍ بالمشافهة، على اعتبار أننا لا نملك الإنترنت أو الانتشار الواسع للقدرة على القراءة والكتابة أو السجلات المعاصرة، وإنما مجرد إشاعاتٍ على إشاعات، ثم نأتي أنا وأنت بالقلم والورقة، أو البردي، بهدف كتابة قصةٍ دقيقةٍ عما جرى في السنوات والأسابيع والأيام الأخيرة من حياة ذلك الشخص.

هذه على الأقل هي الصورة التي تتكون في ذهني عن كيفية حدوث شيءٍ كهذا، والفكرة أن عملًا كهذا، بعد استبعاد افتراض أن الأمر وحيٌ من كائنٍ يعلم كل شيءٍ ويخبرك بما حدث فعلًا، هو منتجٌ بشريٌ يدخل فيه قدرٌ لا يستهان به من الخطأ، والرخصة التي يعطيها القاصّ لنفسه عند السرد Creative license إضافةً إلى النزوية.



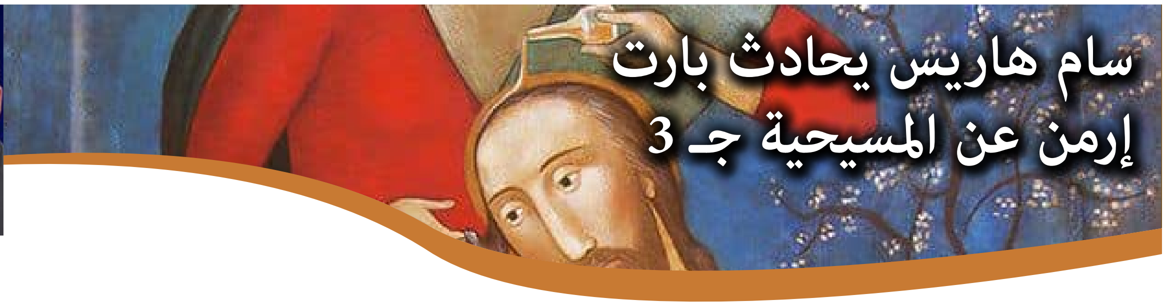
بارت: بلا شك، كان عنوان أحد كتبي الأولى «يسوع ما قبل الأناجيل» Jesus Before the Gospels، وقد تعامل مع هذه المشكلة، وأن هذه القصص التي كتبها كتبة الأناجيل كانت موجودةً تم تناقلها مشافهةً على مدى سنواتٍ وعقودٍ متلاحقةٍ قبل أن يتم تدوينها، ولجعلِ الأمر أكثر تحديدًا، نجد العظة على الجبل في إنجيل متّى، وهي ثلاثة إصحاحاتٍ من مقولات يسوع: الخامس والسادس والسابع، مقولاتٌ متتابعةٌ من أمثلةٍ ونصائح مقتضبة، فكيف نفسر هذا؟

1- رئيس الولايات المتحدة بين الأعوام 1961 و1963، تم اغتياله في العام 1963. [ملاحظة المترجم].

2- زعيمٌ دينيٌ أميركيٌ نشط في حركة الحقوق المدنية منذ العام 1955، تم اغتياله عام 1966. [ملاحظة المترجم].

سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



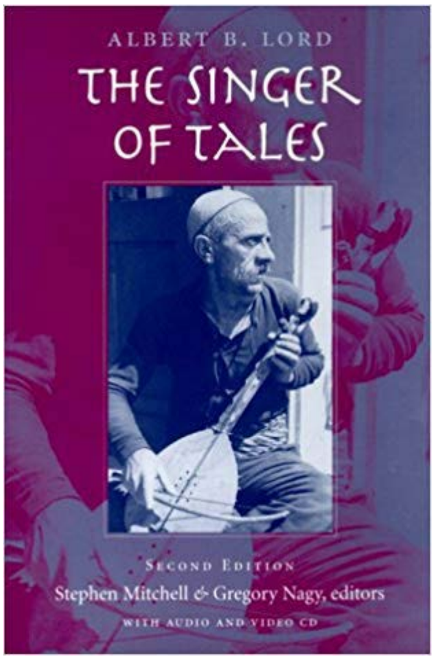


سام هاريس وبارت إرمن

كان متّى يكتب حوالي 55 سنةً بعد الحدث نفسه، فكأنما الأمر أن نأتي اليوم فنسأل أحدًا لا يملك أي سجلاتٍ مكتوبة، ونطلب منه أن يكتب لنا نص أول خطاب «حالة الاتحاد[3]» ألقاه الرئيس جيرالد فورد Gerald Ford، وأن يكتبه حرفيًا، دون الاستناد إلى أي سجلات [يضحك]، فما احتمالات أن يتمكن أحدهم حتى من كتابة نصٍّ يشبه ذلك الخطاب ولو من بعيد؟ لذا، أجد هنالك مشاكل لا يأخذها المسيحيون المحافظون بجدية.

سام: دفاعًا عن فكرة التراث الشفوي، أعتقد بوجود أبحاث، وهو أمرٌ يشير إليه البوذيون بكثرةٍ وكذلك الباحثين في الإلياذة والأوديسّة، فتلك أمورٌ كانت شفهيةً لفترةٍ طويلة، ثمة آليةٌ تسمح لقصصٍ وقصائد ونصوصٍ قبل تدوينها كتابةً إن كانت بالغة الأهمية لتراثٍ ما بإبقائها حيةً عبر تكرارٍ وإلقاءٍ مستمر، ويمكن للمرء عمل ذلك بشكلٍ ناجحٍ والحفاظ على نصوصٍ بشكلٍ يُعتمد عليه أكثر مما نصوّره هنا عندما نحاول تخيل أنفسنا على الطاولة ونكرر بشكلٍ سحريٍّ ما قاله جيرالد فورد، ذلك الشخص «المهم» قبل عدة عقود.

بارت: نعم، هذا صحيح، وهذا ما أتعامل معه في كتابي «يسوع قبل الأناجيل» Jesus Before The Gospels، وذلك بالسؤال: ماذا كانت آليات التراث الشفوي في العالم القديم، والإلياذة والأوديسة هي أمثلةٌ جيدةٌ على ذلك. يوجد كتابٌ مشهور كتبه ألبرت لورد Albert Lord تم نشره عام 1960 وعنوانه «مغنّي الحكايا» The Singer of Tales، ويبيّن فيه الكيفية التي يقوم فيها الناس في يوغسلافيا موطن هوميروس[4] بحفظ قصائد بطول الإلياذة والأوديسة عن ظهر قلب، وكيف يفعلون ذلك، وهذا يظهر كيف يتم ذلك في تلك الثقافة، وأكثر ما يبرز من هذا هو أن الناس لا يأبهون كثيرًا للدقة الحرفية مع مضي الوقت، فالقلق بشأن الدقة الحرفية هو أمرٌ لا يظهر إلا مع انتشار القراءة والكتابة، فمع انتشارهما يمكن للمرء مقارنة نصّين بغية التأكد مما لو كانا متطابقين، لكن لا توجد في الثقافة الشفهية طريقةٌ لمقارنة النصوص، فالمرء يسمع النص، ومن ثم عليه تذكره حتى يتمكن من الحكم فيما لو كان هو نفس النص الأول عند سماعه إياه للمرة الثانية، وقد يصيب المرء عندها وقد يخطئ. وعلى جميع الأحوال يوجد حقل دراسةٍ أنثروبولوجيةٍ مكرسةٍ للثقافة الشفهية، وهذا أمرٌ شيقٌ حقًا ومفيدٌ لفهم التراث الذي استُخدم في كتابة الأناجيل.



صورة الغلاف: الشاعر المزارع Medjedovitch يغني شعره الذي يصل 15 آلاف بيت، سمعته ذاعت بوصفه هوميروس يوغوسلافيا

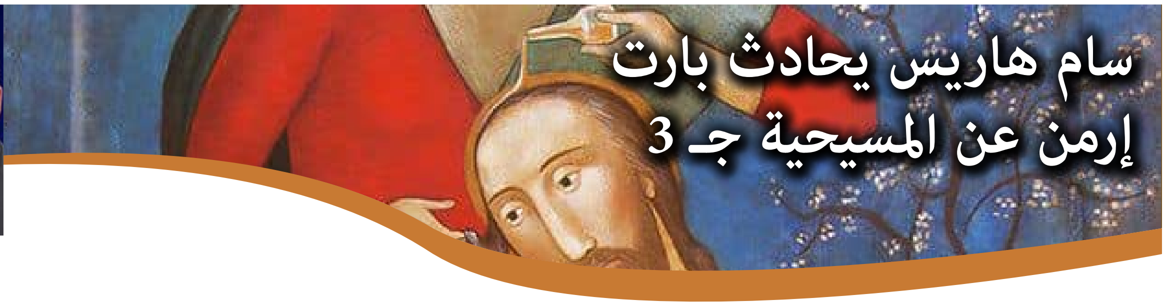
3- خطاب حالة الاتحاد State of the Union هو خطابٌ سنويٌّ يلقيه رئيس الولايات المتحدة أمام جلسةٍ مشتركةٍ من مجلسي النواب (الكونغرس) والشيوخ يعطي فيه تقريرًا عن مجريات العام والأجندة المقبلة. [ملاحظة المترجم].

4- شاعرٌ إغريقيٌّ عاش بين القرنين 9 و8 قبل الميلاد، يُعتقد أنه مؤلف ملحمتي الإلياذة والأوديسة، لكن هنالك من يشكك في ذلك. [ملاحظة المترجم].

5- لعبة الهاتف (كما يسميها أهل أميركا الشمالية أو الهمس الصيني Chinese Whispers كما يسميها البريطانيون) هي لعبةٌ شائعةٌ بين الأطفال حول العالم، يقوم فيها الأطفال بالاصطفاف ثم يبدأ أحدهم بهمس شيءٍ في أذن من يليه، ويقوم هذا بتكرار ذلك في أذن الطفل التالي وهكذا. وبعد الانتهاء تتم مقارنة محتوى ما قاله الطفل الأول مع ما قاله الطفل الأخير، والنتيجة عادةً اختلافٌ جذريٌّ في المحتوى والكلمات. [ملاحظة المترجم].



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



سام: على المرء أن يتخيل وجود انجرافٍ نحويٍ عندما يعجز عن مقارنة التكرارة الحالية مع أي نص، وعندما يستمر الوضع على هذا المنوال وعلى مدى عقودٍ متتابعة، بل وربما حتى قرونٍ متتابعة، فإن فكرة أن العملية تحافظ على ما قيل أصلًا بحرفيته تصير كمن يقوم بلعبة «الهاتف»[5] Game of telephone على مدى أجيال. وكلنا نعرف ما يحصل في لعبة الهاتف باستعمال جملةٍ واحدةٍ عندما تعطيها لغرفةٍ مليئةٍ بالأطفال، فتكاد الجملة النهائية لا تحافظ على أي معنًى متبقٍ. إذًا، ثمة عدة مصادر للشك هنا تتعلق بطبيعة النص. توجد نقطةٌ سمعتها في السابق، وأعتقد أنني رأيتها تناقَش لأول مرةٍ في كتابك «إساءة اقتباس يسوع» Misquoting Jesus، حيث تتحدث عن الأشياء التي تم تضمينها في النص المعتمد وما تم نبذه منه، إذ استغرق الأمر قرونًا لتضمين بعض الأسفار، ربما كان سفر الرؤيا أحدها، ومرت قرونٌ اعتُبرت خلالها بعض الأسفار جزءًا من النص المعتمد لكنها اليوم منحولة (أبوكريفية)، وهذا الجهد التفاوضي التدريجي لتحديد مكانة الأسفار هو كذلك لا يبدو أنه ينضوي تحت راية خلو النص من الخطأ. ألم تكن تعي هذه الأمور عندما كنت أصوليًا، أهو شيءٌ إن سمعه المؤمنون المتمسكون يتولد لديهم الشك؟ أم لعلهم لا يتقبلون نتائج الأبحاث في ذلك المضمار؟

بارت: بل أعتقد أنهم عمومًا يتقبلون نتائج الأبحاث في ذلك المضمار، ذلك أن المرء سيواجه في مرحلةٍ ما من البحث وقائع لا يمكنه إنكارها. كان الكاتب أثْناسيوس Athanasius أول من وضع قائمةً بالأسفار الـ27 التي تُشكل العهد القديم وقرر أنها الأسفار الـ27 المعتمدة التي ستكوّنه، لا أقل ولا أكثر، وكان ذلك في رسالةٍ كتبها في العام 367 ميلادية، أي بعد 300 عامٍ على تداول تلك الأسفار. وأعتقد أن ما سيقوله المسيحي المحافظ هو أن الله كان يقود ويشرف على هذه العملية، وأنه يسمح للبشر بامتلاك الإرادة الحرة (التخيير)، فسمح لهم بمناقشة الأمر قليلًا، لكنه ضمن في النهاية أن يختاروا الكتب الصحيحة [يضحك]. فحتى عندما كتب أثْناسيوس هذه الرسالة كان هنالك من اعتقد بعدم جواز إدخال سفر رؤيا يوحنا ضمن أسفار العهد الجديد، وغيرهم من اعتقد بوجوب تضمين سفر رؤيا بطرس، وهو سفرٌ لم يتم تضمينه في العهد الجديد في النهاية. فالأمر إذًا احتوى نقاشات. ولهذا الأمر وقعٌ على طلابي هنا في جامعة كارولينا الشمالية في تشابل هيل، فبعض الطلاب المسيحيين المحافظين يعرف هذا الأمر لأول مرة، فلم يسمعه قبلًا ولم يدركه من قبل، حيث كان يعتقد أن الكتاب المقدس نزل دفعةً واحدةً في يومٍ من الأيام بعد سنواتٍ قليلةٍ من موت يسوع، ثم يدركون أنه في الواقع قد تم تركيبه لعدة أسباب، وأن تلك العملية خضعت للكثير من الحوادث التاريخية التي ساهمت في تشكيل العهد الجديد.

5- لعبة الهاتف (كما يسميها أهل أميركا الشمالية أو الهمس الصيني Chinese Whispers كما يسميها البريطانيون) هي لعبةٌ شائعةٌ بين الأطفال حول العالم، يقوم فيها الأطفال بالاصطفاف ثم يبدأ أحدهم بهمس شيءٍ في أذن من يليه، ويقوم هذا بتكرار ذلك في أذن الطفل التالي وهكذا. وبعد الانتهاء تتم مقارنة محتوى ما قاله الطفل الأول مع ما قاله الطفل الأخير، والنتيجة عادةً اختلافٌ جذريٌ في المحتوى والكلمات. [ملاحظة المترجم].



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



سام هاريس وبارت إرمن

سام: وما هي أهمية مخطوطات البحر الميت في هذه الصورة؟



لفائف مخطوطات البحر الميت عند اكتشافها

بارت: مخطوطات البحر الميت هي مجموعة كتاباتٍ كتبتها طائفةٌ يهوديةٌ قُبيل زمن يسوع وبُعيده بقليل. تحتوي المخطوطات العديد من الوثائق، وهي بالغة الأهمية لأنها تُظهر لنا البيئة اليهودية المحتملة التي عاش فيها يسوع، وهي مهمةٌ للمسيحية لهذا السبب، كما أنها مهمةٌ لليهودية ولكن لأسبابٍ أخرى. ليس في المخطوطات أي موادٍ مسيحية، فليس فيها أي أناجيل أو رسائل أو شيءٍ من هذا القبيل من منظور المسيحيين. لكن المخطوطات تبين الأسفار التي قدستها تلك الطائفة اليهودية، فمجموعة كتبهم تحتوي تقريبًا كل الأسفار الموجودة اليوم في العهد القديم، لكن كانت فيها أسفارٌ يهوديةٌ أخرى كانت معتمدةً، فتلك أيضًا من محتويات مخطوطات البحر الميت.

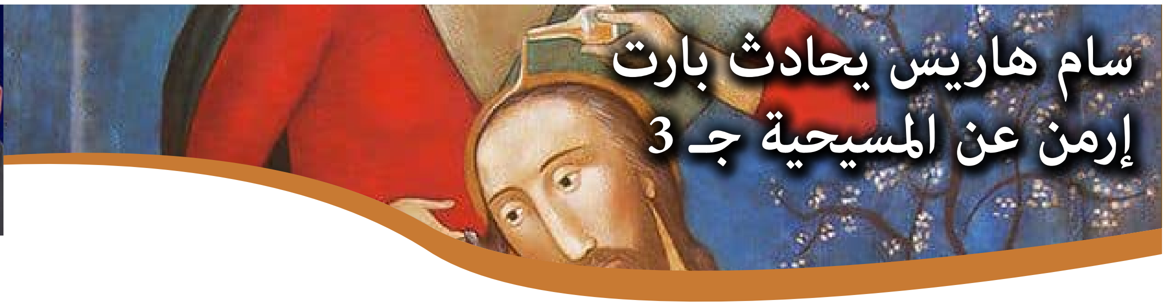
سام: هذا يقودني إلى التصور الذي لدينا عن الحقبة التي عاش فيها يسوع ورسله، وعن تصورهم هم عما كانوا يفعلون. إن من السهل نسيان كل تاريخ معاداة السامية، والذي يُعتبر شأنًا مسيحيًا، ومن السهل نسيان أن يسوع ورسله ومريم العذراء، وكل شخصيةٍ مذكورةٍ كانوا يهودًا، إلى أن جاء بولس وصار يبشّر عبدة الأوثان، أليس كذلك؟ ألا يمكن للمرء القول، وأعتقد أنك تقول ذلك في كتابك الأخير، أن يسوع لم يعتقد أبدًا أنه في طور بداية دينٍ جديد؟ ولو قبلنا ما نعرفه عن حياة يسوع جدلًا باستثناء المعجزات، أليس من المعقول افتراض أنه اعتقد أنه يقدّم النسخ الأدق والأنقى عن الدين الذي كان يعرفه، ألا وهو اليهودية؟



بارت: أعتقد جازمًا أن ذلك صحيح، شخصية يسوع التاريخية، الشخص الذي عاش فعلًا، لم يتصور أنه يؤسس دينًا جديدًا، فقد كان يهوديًا، وُلد يهوديًا ونشأ على اليهودية، وكان أتباعه من اليهود، مارسوا اليهودية والتزموا بالتعاليم اليهودية، والتصور عن يسوع حينها كان أنه مُعلمٌ يهوديٌ كان يلقنهم التفسير الصحيح لليهودية. أما انشقاق المسيحية عن اليهودية لتصبح دينًا مستقلًا، فلم يحدث إلا في وقتٍ لاحق. وتوجد جدالاتٌ حاميةٌ بين الباحثين حول إمكانية تحديد وقت أو حقبة زمنية ذلك الانشقاق. في المحصلة انشقت المسيحية طبعًا وصارت دينًا منفصلًا. لكن الأمر يصاغ بصورةٍ مختلفة، حيث تُعرَّف المسيحية على أنها دينٌ يتمحور حول شخص يسوع، بدل أن تكون ديانة يسوع. فقد كانت لدى



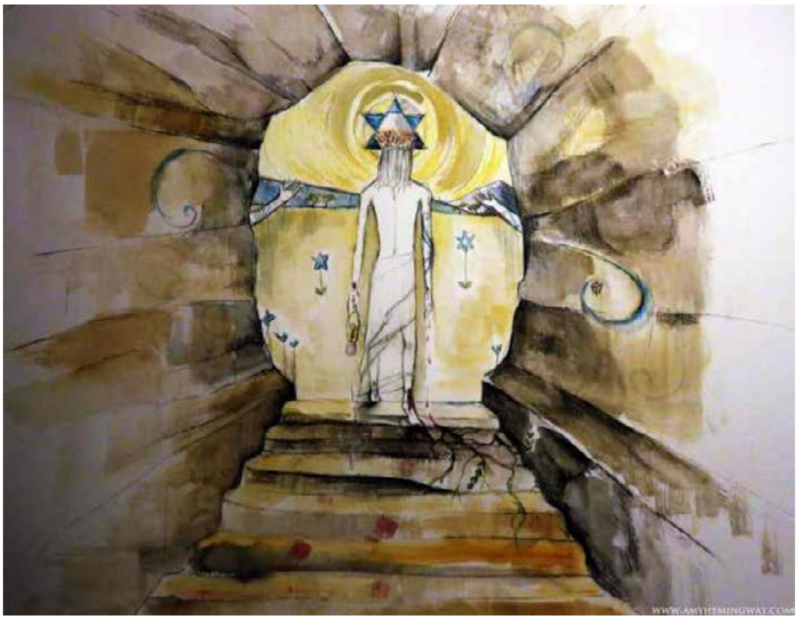
سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

يسوع نظرةٌ دينيةٌ محددة، وهي يهوديةٌ إلى حدٍّ بعيد، لكن المسيحية صارت الدين المتعلق لا بتعاليم يسوع، وإنما تركزت على جانب موته وقيامته، وهي أمورٌ لم تكن مواضيع تعاليم يسوع نفسه طبعًا.

سام: إذًا، ما موضع مفهوم «المسيح» من كل هذا؟ ما هو المفهوم اليهودي للكلمة، وما هو المفهوم الذي اتخذه يسوع خلال بعثته، وماذا كان إخوته اليهود يرونه في ظل ذلك، وما الذي فعله المسيحيون بمفهوم «المسيح»؟



بارت: هذا السؤال يحتاج بحد ذاته حوارًا يدوم خمس ساعات! [يضحك] إن كلمة «مسيح» Messiah تأتي من العبرية מָשִׁיחַ (تُلفظ مَشِيَّحْ) وتعني الشخص الممسوح، وهي المقابل العبري للكلمة اليونانية Χριστός (تُلفظ خْرِيسْتُوسْ) والتي تُمثل أساس الكلمة الإنجليزية Christ المستعملة للإشارة إلى المسيح، فالكلمتان تعنيان الشيء نفسه. أما في أوساط اللغة العبرية وفي اليهودية فقد كان يشار إلى ملك إسرائيل بلقب «الممسوح»، وهو الشخص الذي اصطفاه الله، فمسحه الله، وحصل على حُظوة الله.

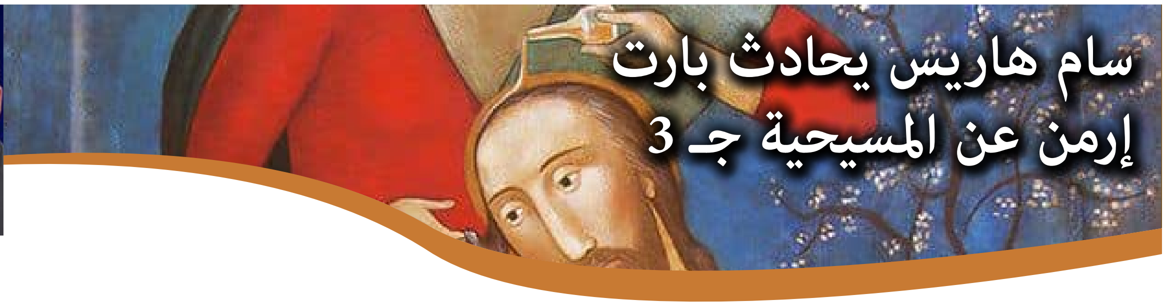
وقد وعد الله داود، أحد أعظم ملوك إسرائيل، باستمرار سلالته بحكم عرش إسرائيل، وقد تحقق ذلك له بالفعل على مدار 400 سنةٍ بعد موت داود كان فيها الحكم بيد السلالة الداودية، لكن أمة يهودا دُمرت في النهاية، وتمت الإطاحة بالملك، فاعتقد على إثر ذلك مفكرون يهود أن الله سيحقق ذلك الوعد بأن يأتي بملكٍ مستقبلي ليحكم. أي أنه سيأتي في المستقبل أحد أحفاد داود ليحكم مجددًا، بحيث يكون كداود شخصيةً سياسيةً مؤثرةً ومحاربًا يدمر أعداء الله ويقيم دولة إسرائيل كدولةٍ ذات سيادةٍ على أرضها، فتمت تسمية ذلك الملك المستقبلي باسم «المسيح» (أو المَشِيَّح). فاليهود الذين تحدثوا عن «المسيح» في أيام يسوع كانوا يتخيلون شخصًا بتلك الصفات: رجلًا ذا شخصيةٍ قويةٍ يدمر الأعداء ويصير ملكًا.

سام: بالانطلاق من ذلك إذًا، فصلبُ يسوع لم يكن تحقيقًا لذلك التوقع.

بارت: بالفعل، هو لم يكن تحقيق ذلك التوقع، وتلك كانت المشكلة الكبرى، لأن المسيحيين بعد موت يسوع أرادوا أن يعلنوا أنه هو المسيح، وكان ذلك بالنسبة لليهود أمرًا جنونيًا، لأن يسوع كان نقيض شخصية المسيح. فلو كان من المفترض على المسيح أن يدمر الأعداء ثم يصبح الملك، فإن يسوع قد تم إذلاله علنًا وتعذيبه حتى الموت على يد الأعداء، وذلك



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

بالضبط عكس المتوقع. لهذا السبب واجه المسيحيون صعوبةً بالغةً في تحويل اليهود إلى المسيحية بُعيد موت يسوع، لكنهم نجحوا في إقناع أعدادٍ أكبر بكثيرٍ من غير اليهود، حيث أن الأمر لم يكن مقنعًا لليهود.

سام: وهل تعتقد أن ذلك كان السبب الأساسي الذي منع اليهود من الاقتناع؟

بارت: نعم بلا شكٍ كان ذلك هو السبب الرئيسي، فالرسول بولس نفسه قال إن صلب المسيح هو العثرة الأساسية أمام اليهود[6]، وهذا ما عناه بذلك، أنهم توقعوا مسيحًا، وكان يسوع نقيض كل ما توقعوه، فهم حتمًا لم يقتنعوا أنه هو المسيح.

سام: توجد مواضع في الأناجيل تُقدّم كلامًا على لسان يسوع، وهي المواضع التي يُفترض أنها الكلام الذي تفوه به فعلًا، ثم هنالك مواضع أخرى تصف أفعاله وأقواله، وهي ليست مصاغةً كاقتباساتٍ حرفية، فهل كان هنالك شيئًا مما قاله يوحي أنه اعتقد أنه المسيح؟ فهنالك بعض أمورٍ قالها توحي بتعظيمٍ وتفخيمٍ بالمعنى اللاهوتي، ولكن هل ثمة صلةٌ مباشرةٌ بين بعض ما قال وزعم أنه هو المسيح؟

بارت: إن الأمر بالغ التعقيد، وهو موضع جدلٍ بين الباحثين النقديين، بينما يكتفي المسيحيون المحافظون باعتباره المسيح لكونه يقول أنه المسيح، لكن السؤال الذي تطرحه، وفي ظل أمورٍ أخرى في الأناجيل هو: كيف نعرف؟ توجد مقولاتٌ توحي أن يسوع اعتقد أنه هو المسيح بمفهومٍ ما، وإحدى المقولات المنسوبة ليسوع والتي قالها فعلًا على الأرجح مذكورةٌ في إنجيلين، في متّى ولوقا، حيث يقول يسوع لتلاميذه الاثني عشر ما معناه: عندما يأتي ملكوت الله، ستجلسون على اثني عشر عرشًا، تحكمون أسباط إسرائيل الاثني عشر[7]. لقد اعتمد تنظيم إسرائيل قديمًا على اثني عشرة قبيلةً (سبطًا[8])، وما يقوله يسوع



فسيفساء أسباط إسرائيل الاثني عشر للفنانة الإسرائيلية
المعاصرة يَعيل پورتوغيز יעל פורטוגז

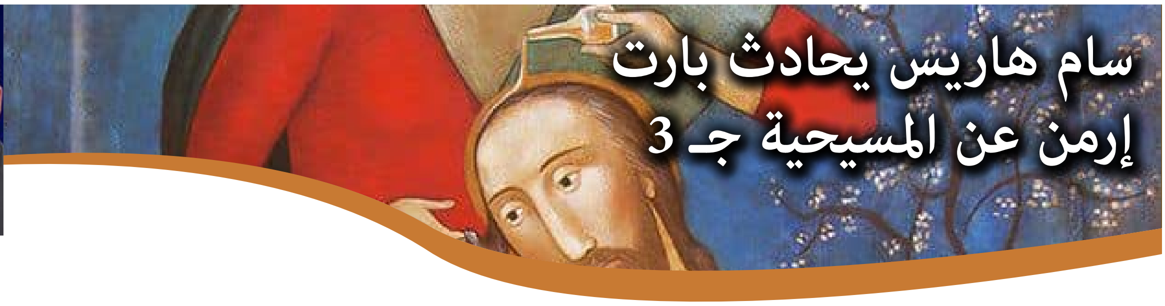
6- «وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 23) [ملاحظة المترجم].

7- «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ» (متّى 19: 28). [ملاحظة المترجم].

8- تأتي كلمة سبطٍ من العبرية שֵׁבֶט ش-ب-ط وتلفظ شِڤِتْ [ملاحظة المترجم].



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



هو أن من سيحكم شعب الله الجديد في نهاية العالم (التجديد) هم التلاميذ الاثني عشر. وسبب اعتقادي الجازم بأن يسوع قال ذلك فعلًا هو وجود يهوذا الإسخريوطي بين تلاميذه، وهو يخبر الإسخريوطي الذي خانه أنه سيصير حاكمًا في المستقبل.

وهذا الأمر لن يختلقه المسيحيون اللاحقون وينسبوه ليسوع، فأولئك المسيحيون يعرفون أن يهوذا سيخونه لاحقًا، مما يعني أن يسوع قال ذلك الأمر حقًّا. ولكن لو كان قاله حقًّا، فهو كان يخبر تلاميذه بأنهم سيكونون الحكام الاثني عشر الذين سيحكمون المملكة المستقبلية، ولو كانوا سيحكمونها، فمن سيحكمهم هم؟ كان يسوع هو من اختارهم، وباتباعهم تعاليمه سيدخلون مملكته، لذا أعتقد أن يسوع كان يعتقد أنه سيكون ملك تلك المملكة المستقبلية، وأنه سيصير المسيح في النهاية، أي الذي سيمسحه الله.

سام: توجد تفاصيل عديدةٌ فيما قلته، وأريد الخوض فيها. أولها هذا المبدأ الذي كنت قد لجأت إليه سابقًا، والذي كنتُ قد نسيته، وهو أنه من المفارقة أن أي شيءٍ يبدو في ظاهره خطأً، أو أنه إشارةٌ على أن يسوع فعل أو قال شيئًا لا يتوافق مع هوى كتّاب الأناجيل المستقبليين، فإنه في الواقع دليلٌ يعزز صحته ومصداقيته بدل أن يكون دليلًا على خطئه، إذ من هؤلاء الدعائيين سيفكر بوضع كلامٍ في ظاهره خاطئٌ على لسان يسوع.

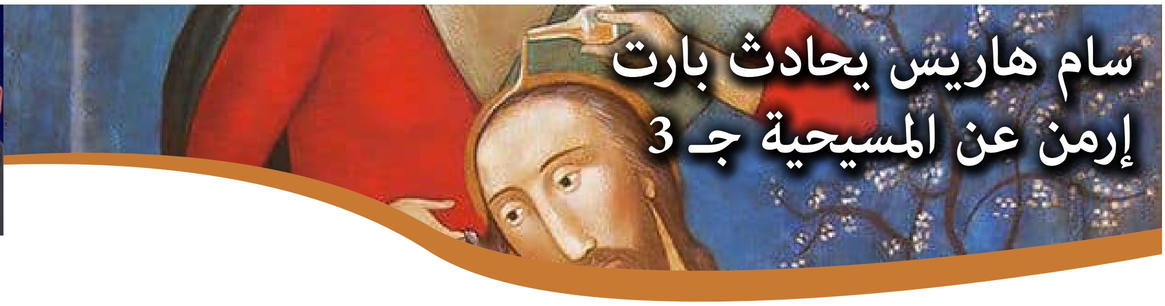
فهذا المبدأ يمثل عدسة تغير المشهد بشكلٍ شيق، ولا بد من أمثلةٍ أخرى عديدةٍ على هذا النوع من الأشياء.

بارت: هنالك بالفعل أمثلةٌ كثيرة، ويشير الباحثون الذين يلجؤون إلى هذا بمسمى معيار التخالف Criterion of dissimilarity، فلو كانت هنالك مقولةٌ قالها يسوع تخالف ما أراد له كتبة القصص المسيحية اللاحقين أن يقول، فمن أين أتت؟ فهم لم يريدوا تلك المقولة، والاستنتاج أن تلك المقولة قالها يسوع نفسه بالفعل.

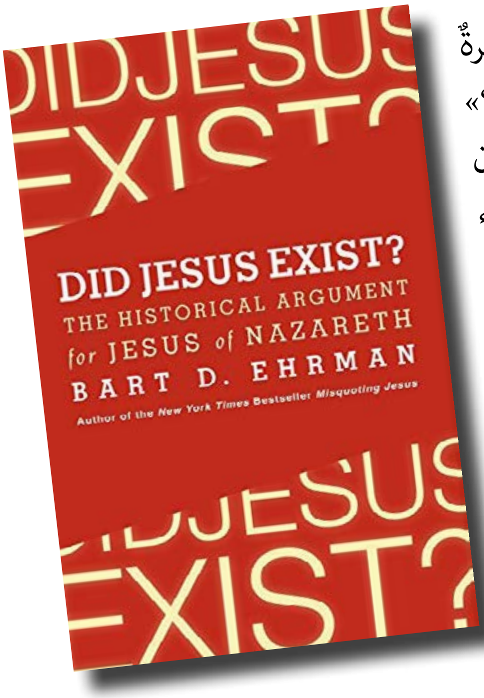
سام: حتى نستطرد في ذلك الاتجاه، ما الذي يمكن عمله بصدد الزعم المتشكك المتطرف الذي تُطلقه أوساط بعض من يملكون شيئًا من الثقافة اللاهوتية، والذي مفاده انعدام أي سببٍ مقنعٍ بأن يسوع كشخصيةٍ تاريخيةٍ عاش حقًّا، فمن المعقول أنه شخصيةٌ أسطوريةٌ بسبب قلة ما نعرفه عنه، إذ لا توجد معلوماتٌ خارج الكتاب المقدس تشهد بوجوده إن لم أكن مخطئًا، فهل يوجد لدينا شيءٌ من السجلات الرومانية، أو أي مصدرٍ آخر عدا عن النص المقدس؟



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3



بارت: يُسمَّى أصحاب هذا الرأي بـ«المُنادين بالخرافية» Mythicists، وهم زمرةٌ هامشيةٌ جدًا، وقد كتبتُ كتابًا عن هذه القضية اسمه «هل وُجد يسوع حقًّا؟» Did Jesus Exist? [يضحك] قدّمت فيه كل الأدلة، والتي يرى المرء فيها أن من شبه المؤكد أن يسوع وُجد حقًّا بغض النظر عن الرأي الذي يمكن للمرء تكوينه عن شخصه. وفيما يتعلق بالدليل من السجلات الرومانية، فخلال حياة يسوع لا يوجد أي دليلٍ روماني، ولكن هذا حال 99,99% من شؤون الإمبراطورية، لذا فمن غير المستغرب انعدام أي دليلٍ في السجلات قبل القرن الثاني، حيث بدأ مؤرخون رومانيون بذكر يسوع في بدايات القرن الثاني. يوجد مصدرٌ من القرن الأول، وهو المؤرخ اليهودي يوسيفوس، وهو مصدرٌ يهوديٌّ وغير مسيحيٍ ويذكر يسوع ويتحدث عنه قليلًا، لكننا في المحصلة محصورون بالأدلة من المسيحيين، ولكن رغم ذلك، فإن طبيعة وحجم الدليل المسيحي تمنع حتى من أكثر باحثي العهد الجديد تشككًا... تقريبًا لا أحد منهم يشك بأنه وُجد حقًّا، بغض النظر عن رأي المرء فيه.

سام: نعم، فعلى المرء عندئذ أن يضع سببًا ما في نقطةٍ ما في الماضي لتفسير سرديات القرنين الأول والثاني، بحيث يكون سببًا لا يتطلب وجود شخصٍ حقيقيٍ ينطبق عليه هذا الوصف، لكنه أدّى إلى جمع أتباعٍ مخلصين يتمحور اهتمامهم حول شخصه رغم أنه لم يوجد حقًّا، وفكرة عدم وجود أي حاخامٍ بشخصيةٍ جاذبة (ذات كاريزما) يقبع خلف كل هذا تبدو فكرةً بعيدةً عن الواقع.

بارت: هذا صحيح، والأمر شديد الانتشار إلى درجةٍ هائلةٍ شاع معها بشكلٍ ما صيت ما يفترض أنه شخصيةٌ وهمية.

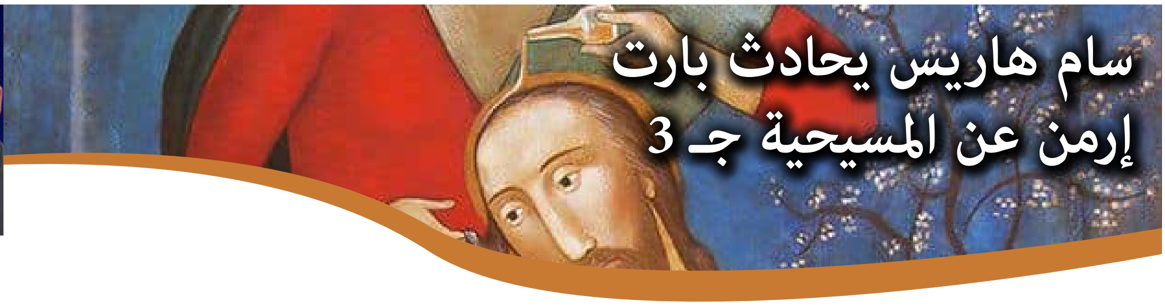
مع بولس الرسول... قام بولس بالتفوه بتعليقٍ عابرٍ تحدث فيه عن يعقوب وهو أخو يسوع، فبولس كان يعرفه، والأمر ليس كمن يقول أنه كان يعرف يسوع، فبولس كان على معرفةٍ بأخيه، وهذا دليلٌ جيدٌ على وجوده حقًّا.

سام: إن أردت الكذب بهدف الإيحاء بأن وجود شخصيةٍ وهميةٍ هو أمرٌ معقولٌ لأجل إطلاق طائفةٍ دينيةٍ تتمحور حول شخصٍ ثم تقوم بالتبشير بها لبقية حياتك، فيبدو أن الأمر يحتاج أكثر من أن يذكر أنه كان يعرف أخاه.

بارت: صحيح، لن يكتفي بذلك، وإن تتبعت تسلسل أحداث حياة بولس، ستجد أنه تحوّل إلى المسيحية بعد مضي عامين أو ثلاثة من موت يسوع. وقبل ذلك، أخبرنا أنه كان يضطهد المسيحيين. مما يعني أن لدينا ما يبرهن على وجود من اعتقد بأن يسوع كان المسيح بعد مضي عامٍ أو عامين فقط على موته. فالأمر لا يتعلق بقصةٍ محبوكةٍ تم تداولها



سام هاريس وبارت إرمن

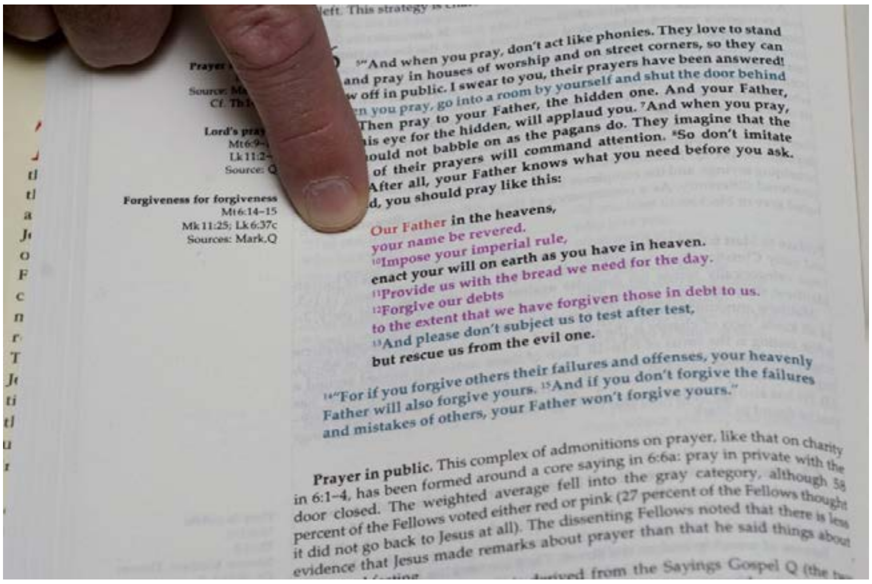


سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

بعد العديد من السنوات... على كل حال، توجد أدلةٌ كثيرةٌ قد يستحضرها المرء، لكن وجوده فيما أعتقد أنه أمرٌ مؤكد. وفيما يتعلق بمعيار التخالف، والذي ينص على أنه إن تعارضت تفصيلةٌ ما مع ما يريده القائمون على السردية المسيحية فهي على الأرجح تفصيلةٌ أصيلة، أقول أنه معيارٌ تاريخيٌ متين، وهو لا يختلف كثيرًا عما يحدث أثناء مرافعة قضيةٍ في المحكمة، فلو كان لديك شاهدًا يشهد ضد مصلحته الشخصية، فمن المرجح أن هذه الشهادة موثوقة.

سام: بصدد هذه القضية حول تصنيف فقرات الكتاب المقدس على مقياس الموثوقية، أتذكر مجموعةً اسمها «ندوة يسوع» Jesus Seminar كانوا يفعلون هذا الأمر، حيث كانوا يلوّنون الفقرات حسب مقدار الموثوقية، هل لا زال هذا قائمًا، وهل له وزنٌ حقيقيٌ في أوساط الباحثين؟

بارت: لقد كانت «ندوة يسوع» ظاهرةً غير عادية، كانت مجموعةً من حوالي 50 باحثًا، وكانوا باحثين مؤهلين، غالبيتهم أساتذةٌ جامعيون بعضهم يدرّسون في كلياتٍ مسيحيةٍ للفنون الحرة Liberal arts، لكن بعضهم كانوا باحثين معروفين، وأنت محق، فقد كانوا يمحّصون مقولات يسوع جملةً بجملة، وكانوا يصوّتون. كانوا يناقشون الجمل ويتجادلون حولها ويدرسون الأبحاث المكتوبة عنهم، كانوا يدرسونها باليونانية، وأعادوا بناء النص الآرامي، وغير ذلك، ثم كانوا يصوّتون بعد ذلك. فلو اعتقدوا أن جملةً ما قد قالها يسوع حقًا يعطونها صوتًا «أحمر»، ولو كانوا غير واثقين تمامًا يعطونها صوتًا «زهريًا»، ولو كانت الثقة غير عاليةٍ يعطونها صوتًا «رماديًا»، أما لو اعتقدوا أنه لم يقلها فيصوّتون بالأسود.

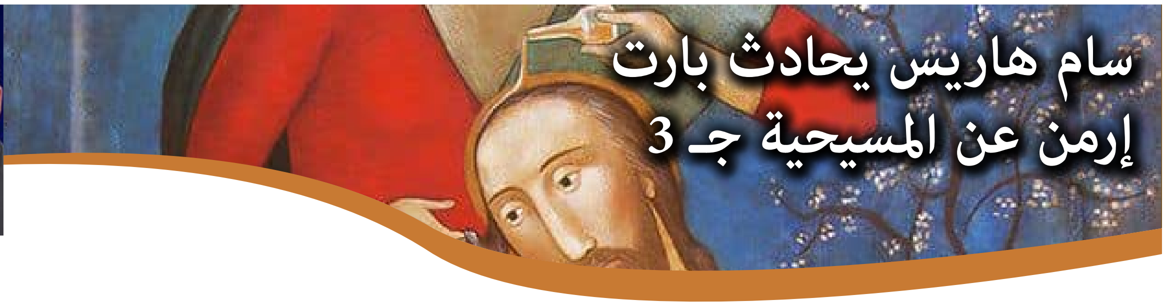


فيقوم الجميع بالتصويت ويعدّون الأصوات، ثم يقومون بطبع نسخةٍ من الأناجيل ذات نصٍ ملونٍ بأربعة ألوان، تجد فيها بعض الأقوال بالأسود وبعضها بالرمادي وبعضها بالزهري والبعض بالأحمر. وقد اعتقد بعض الباحثين الذين لم ينتموا لتلك الندوة أن العملية كلها سخيفةٌ وغير محترمة [يضحك]...

لكن بعضهم كانوا باحثين جيدين... وبمعنًى آخر، هكذا تجري الأبحاث، حيث يتم التأسيس لإجماع رأيٍ قد يخالفه بعض الباحثين، وقد يقتنع به البعض أكثر من البعض الآخر، لكن ما حدث هنا أوصل الموضوع إلى حدٍ سخيفٍ بعض الشيء.



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

سام: إذًا عودةً إلى ما كنت تقوله عن يسوع واعتقاده عن نفسه أنه المسيح ووعده تلاميذه بمنح كلٍ منهم مملكةً خاصةً به وتلك الصورة عن نهاية العالم وتحقيق النبوءة، فمن الواضح أن الجميع حينها كانوا يتوقعون حدوث تلك الأمور خلال حياتهم، فلم يتوقع أحدٌ منهم الانتظار لآلاف السنين حتى يتم إنجاز استملاك الأرض لإعلاء اسم الرب، أليس كذلك؟

بارت: يسوع نفسه بلا شكٍ لم يكن يتوقع أن يستغرق الأمر آلاف السنين، وكذلك كان حال أتباعه وحال بولس، فيسوع بذاته يقول في الأناجيل أن جيله سيشهد حدوث تلك الأمور ويخبر تلاميذه أن بعضهم لن يموت قبل حدوثها، فحدوثها كان متوقعًا خلال حياتهم، وهذا ما اعتقده بولس حيث اعتقد أنه سيكون على قيد الحياة. ومن السخرية أن كل جيلٍ من المسيحيين منذ ذلك الحين اعتقد أنها ستحدث خلال حياة جيلهم، وما يشتركون فيه أنهم كانوا كلهم مخطئين [يضحك].

سام: إذًا، ما الذي يفعله الأصوليون بصدد هذا التوقع الواضح بأن هذه الأمور ستتحقق في سياق الواقع الروماني في القرن الأول؟



بارت: ردّهم النموذجي هو أن تقويم الله ليس تقويم البشر، وأن قرب الحدث زمنيًا بالنسبة له يختلف عن مفهومه بالنسبة لنا. فقد يقول يسوع أن الأمر سيحدث قريبًا، ولكن اليوم في تقويم الله كألف سنة، والألف سنة كيوم، فلو كان الأمر سيحدث بعد ثلاثة أيام، فقد يعني ذلك بعد ثلاثة آلاف سنة.

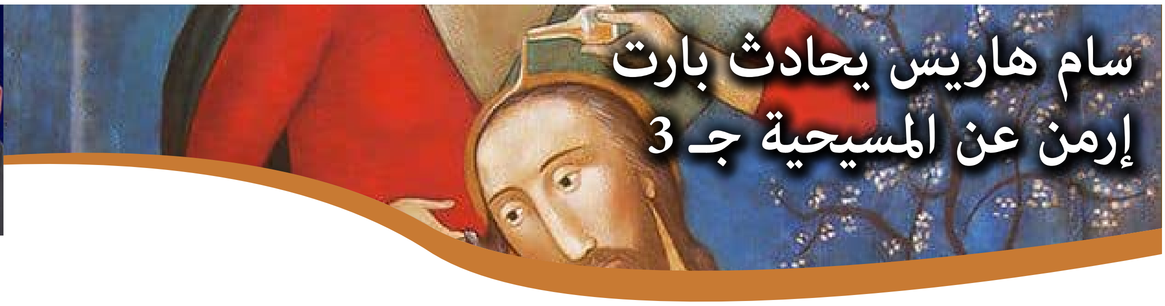
سام: وحتى لو كان ابن الله مخطئًا أو يبدو أنه مخطئٌ في فهم ذلك؟

بارت: لا لا، لأن ابن الله يسير على تقويم الله، إنما نحن البشر من يسير على التقويم الخطأ [يضحك].

سام: أي أنه لم يقل شيئًا يوحي أنه توقع شيئًا لم يتحقق؟ فعندما يتحدث عن سيادة حكمه على الأرض في وقتٍ مستقبليٍ ما، ألا يضرب صلبه لاحقًا بهذه الصورة عرض الحائط؟



سام هاريس وبارت إرمن



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

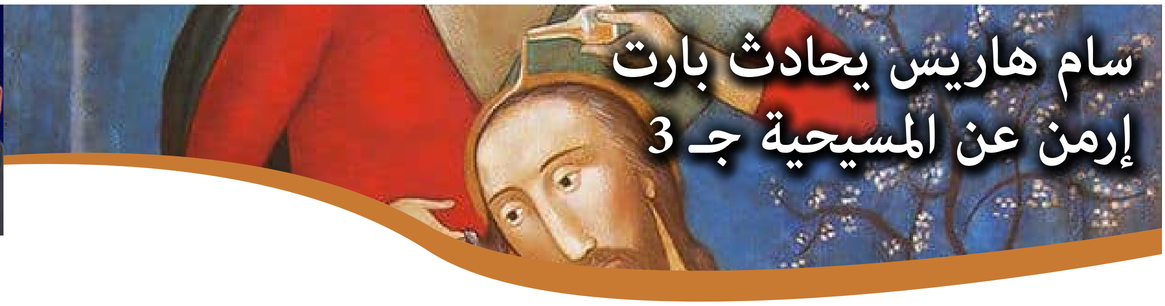
بارت: حتمًا هي تضرب بها عرض الحائط، ما أقوله أن يسوع تاريخيًا تنبأ بأن النهاية ستأتي خلال فترة حياة جيله، وأن التلاميذ اعتقدوا أنه سيكون هو المسيح الذي سيجلس على العرش، فعندما تم صلبه، سلبهم ذلك من تلك الفكرة تمامًا، ولهذا السبب كان الإيمان بقيامة يسوع هو أساس نشوء المسيحية كفكرةٍ جديدةٍ على الساحة. حيث تمثلت تلك الفكرة الجديدة باعتبار موت يسوع وقيامته أساس تغيير العلاقة مع الله بدل أن يكون أساس ذلك عبر أحداث النهاية القادمة للزمان Eschaton.



سام: أعتقد أن هنالك مبدأً آخر هنا لطالما حيرني على الصعيد الأخلاقي أكثر من الصعيد الفكري، وهو فكرة أن أهمية صلب المسيح تكمن بكونها مصادقةً على المنطق الأخلاقي لفكرة التضحية بالبشر، والتضحية بالبشر كانت موجودةً في ثقافاتٍ عديدة، حيث كان الاعتقاد سائدًا بأن النوع البشري يعيش في علاقةٍ دائمةٍ مع إلهةٍ خفيةٍ متعددة الأنواع يمكن استرضاؤها عبر تقديم قرابين بشرية، ثم نرى إحلال القرابين الحيوانية مكان البشر في العهد القديم، ثم بعد ذلك نرى أن الختان يحل محلها، فنرى القرابين تتضاءل حدتها، ولكن القرابين البشرية نجدها في كل الثقافات تقريبًا والمنطق الكامن في فكرة أن المسيح قد مات لأجل خطايانا وخلاصنا منها عبر تضحيته هو ذاته منطق الأضحية البشرية، لذا أرى المسيحية، دون تعمد منها، عبادةً تتمحور حول الأضحية البشرية. فالأمر فيها لا يتعلق بطرح نظامٍ أخلاقيٍ جديد، وإنما بعقيدة، أو بالأحرى بمحض زعم أن الأضحية البشرية مهمةٌ وأنها ما يريده الله ويتطلبه حقًا مبدئيًا على الصعيد الأخلاقي، لكن ثمة أضحيةً واحدةً فقط كانت هي الضرورية، وقد كانت فعالةً وتم إنجازها خلال حياة يسوع.

بارت: نعم، بصفتي غير مسيحيٍّ وأنظر من الخارج يبدو الأمر غريبًا حقًا وبشعًا إلى حدٍ بعيد، والتسلسل المنطقي الذي قدّمتَه توًا معقولٌ جدًا بالنسبة لغير المسيحيين، أما بالنسبة للمسيحيين فلا يجدون له أصداء... لا أعرف... لا يضعون النقاط على حروفها.

يبدو عالمًا غريبًا يتطلب الله فيه من ابنه أن يتعرض للتعذيب حتى الموت بغية أن يغفر للبشر، فما الذي يمنعه من الغفران دون ذلك؟ فعندما يقترف ابني خطأً لن أخبره أنني سأقتل كلبه للتكفير عن الخطأ، وإنما أسامحه، لكن كما يبدو فإن الله لا يتطلب موت كلب، وإنما موت ابنه. يدرك اللاهوتيون المسيحيون المحنكون أن عقيدة الغفران هي عقبةٌ لا يمكن تجنبها، فلا يمتلكون تفسيرًا جيدًا لها، هم يحاولون، لكنها عقيدةٌ فظيعة.



سام هاريس يحادث بارت إرمن عن المسيحية جـ 3

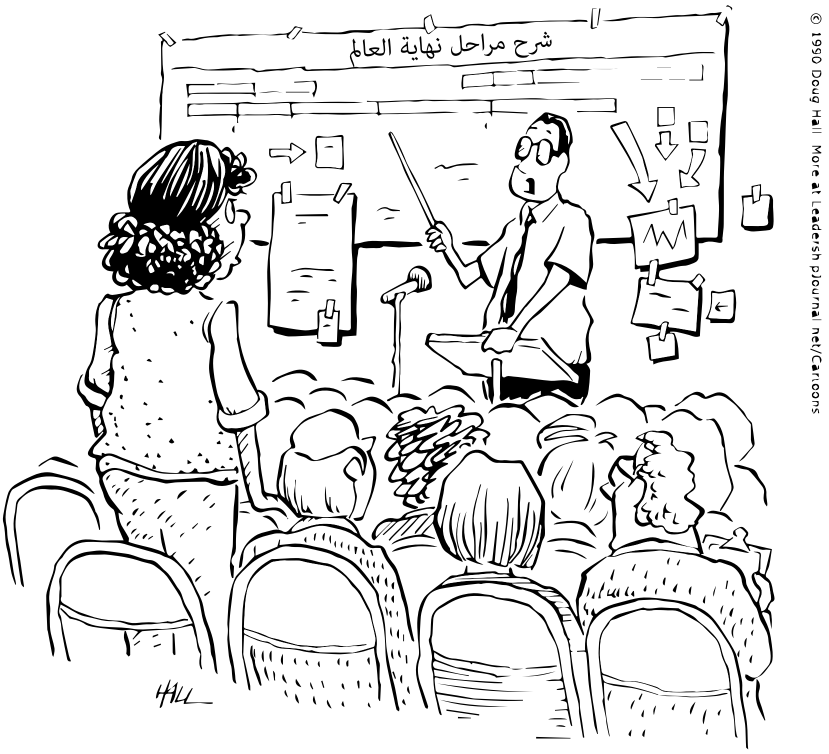


سام هاريس وبارت إرمن

سام: وهي من ضمن نقاطٍ أخرى عديدةٍ توحي أن أخلاقيات الله لو كانت أخلاقيات بشر، سنعتبرها شرًا. فأي إلهٍ هذا الذي يتطلب تعذيب وموت ابنه لأجل غفران نقائص مخلوقاتٍ خلقها هو لتحتوي تلك النقائص أصلًا؟ وأي إلهٍ هذا الذي يخلق خطةً يختزل فيها الفرق بين السعادة الأبدية والعذاب الأبدي إلى مجرد الإيمان بأمورٍ معينة، لكنه لم يوفر أدلةً كافيةً لإقناع الناس بتلك الأمور فترى أشرارًا لا يملكون أي إنجازٍ وشاء حظهم أن تم تلقيمهم العقيدة الصحيحة، مقابل أخيارٍ رغم كل أعمالهم الجيدة سيقضون الأبدية في النار بسبب أنهم لم يسمعوا بالأناجيل. فكل هذه الصورة عن الكيفية التي تستحق فيها الأرواح لعنةً أو أبديًا، لو كان خالقها شخصٌ بشري، لو تخيلناها تجربة علم نفسٍ خلقناها نحن وأرغمنا آخرين أن يعيشوها، فالأمر سيكون أكثر المشاريع قسوةً وساديةً، ولكن المطلوب منا هنا أن نؤمن أن إلهًا مطلق الطيبة والعطف قد خلق الكون ليسير على هذا النحو.

وهذه نفس اللعبة التي نجدها لدى المسلمين كذلك وغيرهم من المؤمنين ممن يعتقدون بأن مصير المخالفين في المعتقد هو اللعنة. ولكن التصور بأن هنالك من يعتقد أن هذا أساس أخلاقياتٍ لا تقبل النقد وتوجد مستقلةٌ خارج المتوارث، فهذا أمرٌ يصعب تقبله عقلًا.

بارت: هذا صحيح، كل من ورث تركة عصر التنوير لن يتقبل عقله أيًا من هذا، وعندما تحاول طرح هذه الحجة على المسيحيين المحافظين، يكون ردهم عليك: من تكون أنت لتشكك في الله؟ فكأنما تربط العقلانية عقالها خارج الباب عند الحديث عن عقائد معينة، لكن هذا لا ينطبق على كل المسيحيين، فهنالك مسيحيون محنكون كثر، لكن ذلك هو المنطق الأساسي الكامن في تطلب الله لأضحيةٍ بشرية... والأمر لا يقتصر على ذلك، ففي الكتاب المقدس لديك الله يأمر شعبه بذبح سكان بلادٍ بأسرها بما في ذلك...



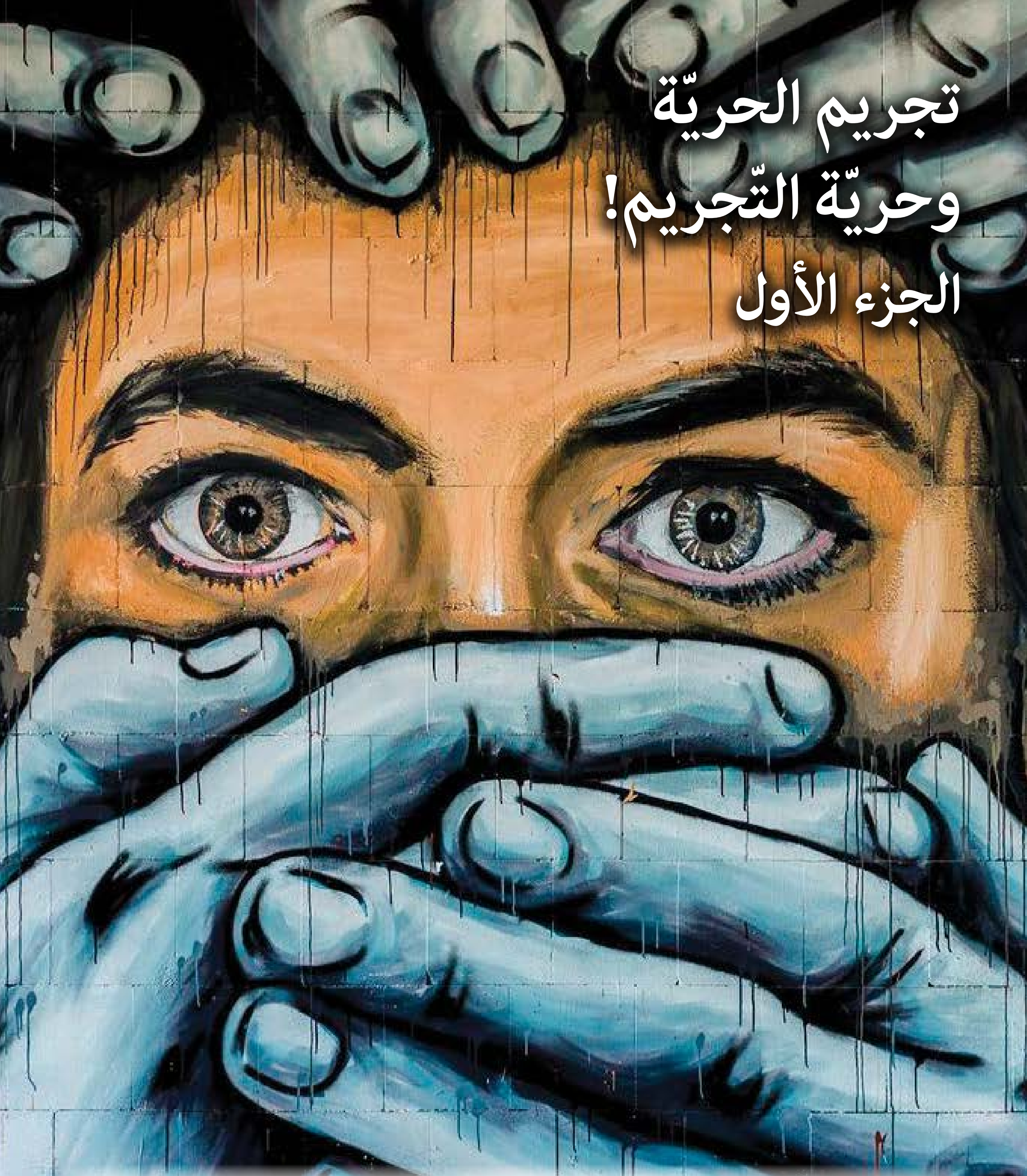
«الرجاء عدم طرح الأسئلة فهي تعيق تدفق أفكار إجاباتي»

سام: العماليق[9]؟

بارت: نعم، في الأمر إشكالات...

9-العماليق شعب مذكور في العهد القديم كأحد أعداء الإسرائيليين وهم يسنبون إلى عماليق עֲמָלֵק أحد أحفاد عيسو، وقد حض سفر التثنية على إبادتهم. [ملاحظة المترجم].





تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!

الجزء الأول

مقالةٌ قانونيّةٌ تُسلّط الضوء على حريّة الرأي والتّعبير في التّشريعات العربيّة , وتتناول تفصيلًا جريمة ازدراء الأديان وظروف تشديد وتخفيف العقوبة



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني



ما إن يُولد الطّفل منّا ويبدأ يخطو أولى خطواته في هذه الحياة، حتّى يُكبّلوا يديه، ويقيّدوا شفتيه، ويقتادوه على دربٍ محفوفٍ بأسلاكٍ شائكةٍ، مجدولةٍ من كمٍّ هائلٍ من المحرّمات والتابوهات. يُلقّنوه أنّ الفضول شيطانٌ متى تجسّد للإنسان قاده إلى ارتكاب الخطايا والرذائل، وأنّ الشكّ خطيئةٌ، والتساؤل رذيلةٌ. لكن يبقى الفضول في الحقيقة فطرةً، يتنفّس الإنسان بفضله، ويكتشف به أسرار الكون وعظمته. ونحن اليوم تُثقلنا الآلام كلّما أردنا تغيير الدرب الذي رسموه لنا، وكلّما حاولنا تحييد الأسلاك للنظر للأفق البعيد.

ففي بلادنا المجتمع ينظّم القانون، لا القانون ينظّم المجتمع؛ إذ لا يعترف الدستور بما أقرّته الطبيعة للإنسان من حقوقٍ، بل يَترك تحديد حقوق الأفراد لغوغائيّة الأغلبيّة، التي تُثير الفوضى وتُشيع العنف ما لم يتمّ الامتثال لرغبتها، فتُحلّل ما تشاء وتُحرّم ما تشاء. وما أن نشرع بممارسة حقّنا في التفكير والبحث وإبداء الرأي، حتى نُعاقب، فمنّا من يُعاني من العزلة الاجتماعيّة في المنزل والجامعة والعمل، ومنّا من يقبع في أقبية السجون أو يُهدد بسلب حريّته لكتابٍ أو مقالٍ أو بضع كلماتٍ نشرها، أو رسمٍ شاركه على مواقع التواصل الاجتماعي، وتُهمتنا التغريد خارج السرب والخروج عن العقل الجمعي. فبأيّ نصوصٍ قانونيةٍ نُحاكم اليوم؟ وهل هذا يتّفق مع مفهوم حريّة الرأي والتّعبير والبحث العلميّ التي نصّ عليها القانون الدولي، كما يدّعي من نَصّبوا أنفسهم حماةً للإله وجنودًا للسّلم والسلام؟

مصدر حقوق الإنسان وحريّاته الأساسيّة ومدى إلزاميّتها على الصعيدين الدولي والوطني

إنّ حقوق الإنسان وحريّاته الأساسيّة هي حقوقٌ لصيقةٌ بالإنسان يكتسبها بحكم آدميته من القانون الطبيعي، الذي هو بدوره يشكّل مصدر كافّة القوانين الوضعيّة التي تحكم حياتنا اليوم. ويُعرّف بأنّه: مجموعة المبادئ العامّة والمُثل العليا الثابتة والمطّردة التي لا تتغير بتغيّر المكان والزمان، وليست من وضع البشر، بل تُستمدّ من طبائع الأشياء، ويستلهم منها القاضي المُثل العليا للعدل.(1)

بمعنى آخر، لا تُعدّ الدساتير والقوانين والأعراف والأديان المصدر الحقيقي لحقوق وحريّات الإنسان، أيّ ليس لها أن تُحدّد ما يحقّ للإنسان وما لا يحقّ له، بل من يُحدّد الحقوق والحُريّات هي قوانين الطبيعة، أيّ مجموعة القوانين الضابطة لهذا الكون منذ ظهوره.

1- الزعبي، عوض أحمد (2011)، مدخل إلى علم القانون، الطبعة الثانية، دار اثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ص 36 – 37.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني



على سبيل المثال، أعطت الطبيعة جميع الكائنات باختلاف أنواعها وتصنيفاتها حقّ الحياة، فلو لم تمنحهم هذا الحقّ لما وُجدوا من الأصل، كما أنّها لم تعقد ألسنتهم ولم تكبّل أطرافهم ولم تقيّد غرائزهم، مانحةً إيّاهم حقّ الحريّة المطلقة، أيّ الحقّ في أن يفعل كلٌّ منهم ما يشاء وقتما يشاء، وهكذا كانت حياة البشر البدائيّة قبل أن يمتلكوا العقول المُعقّدة التي يتمتّعون بها اليوم، كانت حياةً مليئةً بالحريّة وقاسيةً في ذات الوقت؛ إذ كان يحكمها البقاء للأقوى.

وعُقب تطوّر عقول البشر، أدركوا أنّ هناك سبيلًا لتجنّب قسوة الحياة عن طريق الدخول في تنظيماتٍ اجتماعيّةٍ من أجل الدّفاع عن أنفسهم من الأخطار المُختلفة ومن أجل إشباع مُختلف احتياجاتهم.

لكن وجود الإنسان في جماعةٍ استتبع بالضرورة تعارض مصالحه مع مصالح غيره من الأفراد جرّاء رغبةِ كلّ فردٍ في إشباع شهواته وتحقيق مصالحه دون الالتفات إلى مصالح غيره. لهذا كان لابدّ للجماعة من نظامٍ يوجّه نشاط الأفراد فيها ويحكم ما بينهم من علاقات، ولم يكن ذلك ليتم إلّا من خلال الحدّ من حريّاتهم المطلقة التي منحتهم إيّاها الطبيعة، وذلك بالقدر اللّازم فقط للتوفيق بينهم.[2]

ومن هنا نشأت فكرة العقد الاجتماعي التي تقوم عليها الدول اليوم، والذي تنازل بموجبه كلّ فردٍ بشكلٍ طوعيّ عن جزءٍ من حريّته والتزم تجاه الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين هذا التنظيم الاجتماعي الذي سيساعدهم على البقاء.[3] ولضمان امتثال الجميع للعقد الاجتماعي الذي نشأ بينهم، أسبغوا على قواعده قوّةً إلزاميّةً، فكان القانون. وقاموا باختيار فردٍ أو مجموعة أفرادٍ ومنحوهم حقّ إجبار باقي أفراد الجماعة على الامتثال لهذه القواعد، فكانت السلطة. وعليه فتقتصر وظيفة القانون والسلطة على التوفيق بين مصالح الأفراد وحقوقهم وحريّاتهم من جهة، والحفاظ على كيان الجماعة وتحقيق المصلحة العامة من جهةٍ أخرى. وعليه فلا يكون تقييد حقوق وحريّات الإنسان المطلقة إلّا في الحدود اللّازمة لحماية حقوق الآخرين والحفاظ على بقاء الجماعة واستمرارها.

واليوم تُعدّ حقوق الإنسان وحريّاته الأساسية أهمّ دعائم النظام العالمي الجديد، ولم تتقرّر بيسرٍ وسهولةٍ، إنّما تقرّرت عقب كفاحٍ مريرٍ قدمته الشعوب من أجلها ضد السلطة الاستبداديّة التي حاولت انتزاعها، ثمّ شيئًا فشيئًا تمّ النص عليها في القوانين الداخلية للدول، ثمّ اتّسعت لتشمل العالم كلّه عقب الحرب العالمية الثانية وتأسيس الأمم المتّحدة عام 1945م، حيث ظهرت في صورة إعلاناتٍ ومواثيقٍ دوليّة،[4] شكّلت ما يسمى بالشرعة الدوليّة لحقوق الإنسان، والتي تُعتبر مدونةً شاملةً ومحميةً دوليًا، حددت فيها الأمم المتّحدة مجموعةً واسعةً من الحقوق والحريّات المُتعارف عليها

2- الزعبي، مرجع سابق، ص 21.

3- شطناوي، فيصل (2013)، حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في القوانين والشرائع الدوليّة والوطنية، الطبعة الرابعة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، ص 44.

4- شطناوي، مرجع سابق، ص 10 – 11.

تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1





لمى اللبواني

على مستوى العالم، كما أبرمت الدول مجموعةً من الاتفاقيات الإقليميّة لتعزيز حقوق وحريّات الإنسان الأساسيّة،[5] والتي أغنت بدورها القانون الدولي لحقوق الإنسان.

وصحيحٌ أنّه ليس لدولةٍ معيّنةٍ سلطانًا على أخرى، وأنّه ليس هناك سبيلًا لإجبار أيّة دولةٍ على الالتزام بأيّة قاعدةٍ من قواعد القانون الدولي، سوى أن تلتزم هي بإرادتها الصريحة أو الضمنيّة. غير أنّ عدم التزامها يُجابه دومًا بردود فعلٍ دوليّة صارمةٍ قد تصل إلى حدّ تدخل مجلس الأمن؛ فالقانون الدولي يسمو على القوانين الداخلية للدول.

وفيما يتعلّق بشكلٍ خاصٍ بحقوق الإنسان المُقرّرة في الشرعة الدوليّة لحقوق الإنسان لا تستطيع الدول المنضوية تحت لواء الأمم المتّحدة التنصّل من التزاماتها في هذا الإطار بحجّة عدم تصديقها على معاهدات الشرعة الدوليّة؛ إذ التزمت هذه الدول مسبقًا بميثاق الأمم المتّحدة الذي ألزمها بكفالة حقوق وحريّات الإنسان الأساسيّة والحفاظ على كرامة الأفراد بلا تمييزٍ بسبب الجنس أو اللغة أو الدّين وبلا تفريقٍ بين الرجال والنساء، وذلك في ديباجة الميثاق والمادّة الأولى منه.

وعند مراجعة ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وكذلك ديباجة العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة، يتّضح أنهما صدرا سندًا لميثاق الأمم المتّحدة. وهذا فضلًا عن أنّ هذه المعاهدات تدخل في إطار المعاهدات الشارعة الموقّعة من غالبية دول العالم والتي تضع قواعدًا قانونيّةً عامّةً تُلزم جميع الدول حتّى تلك التي لم تنضم لها.[6]

بل وأكثر من ذلك فإنّ مبادئ حقوق الإنسان، وبغضّ النظر عن مكان تواجدها سواء في القانون الدولي أو القوانين الداخلية للدول، فإنّها تمتلك أعلى قوّةٍ قانونية، وأيّة معاهدةٍ تحدّ أو تُنقص من هذه المبادئ تعدّ باطلةً وغير مشروعة، كما لا يجوز لأيّة قوانينٍ وطنيةٍ داخليةٍ أن تنتقص منها،[7] فهذه المبادئ مفروضةٌ بقوّة القانون الطبيعي.

حريّة الرأي والتّعبير في القانون الدولي

من الحقوق الأساسيّة للإنسان حقّه في حريّة الرأي والتّعبير وهي واحدةٌ من الحريّات الفكرية وأهم الحريّات الإنسانيّة التي يحتاجها الإنسان في حياته، وذلك لارتباطها الشديد بجوانبه الروحيّة.

وتُعتبر حريّة الرأي والتّعبير أهم ركائز الديمقراطية والضمانة الأساسيّة لها، ويُقصد بها:

5- من المُعاهدات الدوليّة الداخلة في الشرعة الدوليّة لحقوق الإنسان: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948م، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسيّة النّافذ سنة 1976م. ومن المُعاهدات الإقليميّة الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان لسنة 1969م، والاتّفاقيّة الأوربيّة لحقوق الإنسان لسنة 1950م، والميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لسنة 1981م، والميثاق العربيّ لحقوق الإنسان لسنة 2004م.

6- راجع الملحق (1) للاطّلاع على النصوص ذات الصّلة.

7- لوكاشوك، إيغور إيفانوفيتش (2010)، القانون الدولي العام، ترجمة الدكتور محمد حسين القضاة، الطبعة الأولى، دار الورّاق للنشر والتوزيع، الأردن، ص 28.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

«قدرة الفرد على التّعبير عن آرائه وأفكاره بحريّةٍ تامةٍ بغض النظر عن الوسيلة التي يستخدمها سواء كان ذلك بالتّواصل المباشر مع النّاس أو بالكتابة أو بالمراسلة أو عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئيّة».[8] وإنّ حريّة التّعبير تنطبق على الأفكار من أيّ نوعٍ بما فيها تلك التي تُعتبر مُسيئةً جدًا.[9]

وننوّه هنا إلى أنّ حريّة الرأي والتّعبير ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحريّة البحث العلمي؛ لأنّ تبنّي أيّة أراءٍ أو أفكارٍ ومُحاولة نقلها للآخرين بأيّة وسيلةٍ كانت، يستلزم بالضرورة ابتداءً قيام الفرد بطرح الأسئلة والبحث عن الأجوبة، سواء بسؤال متخصصين أو مطّلعين أو عن طريق الرجوع للكتب والمقالات العلميّة منها والأدبيّة.

ولقد أكّدت العديد من المعاهدات الدوليّة والإقليميّة على حريّة الرأي والتّعبير والبحث العلمي والتي تشمل حريّة الإنسان في البحث عن مختلف أنواع المعلومات والأفكار وتلقّيها ونقلها إلى الآخرين سواء شفاهةً أو كتابةً أو في قالبٍ فنّي أو بأيّة وسيلةٍ أخرى يختارها.[10]

ولقد قيّدت المعاهدات والمواثيق السّالفة الذكر حقّ الإنسان في حريّة الرأي والتّعبير، ولم تتركها مطلقةً بغير قيود، على أن تستهدف هذه القيود على سبيل الحصر غايتين اثنتين هما: حماية حقوق وحريّات وسمعة الآخرين، وحماية الأمن الوطني والقومي والسلامة العامّة والصحة العامّة والأخلاق والآداب العامّة والنّظام العام، أيّ أنّ مناط الحماية هنا ليس الأديان والمعتقدات بحدّ ذاتها بل حقوق الآخرين والسّلم الاجتماعي.



الكاريكاتير الذي شاركه الكاتب الأردني ناهض حتّر وتسبب في محاكمته ثم قتله على يد متطرف

أيّ أنّه كي يُجرّم أيّ شخصٍ عمّا أتاه من قولٍ أثناء ممارسته حقّه في حريّة الرأي والتّعبير، يجب أن يستهدف بفعله قصدًا خاصًّا وهو الاعتداء على حقوق الآخرين أو إثارة الفتنة بين النّاس أو هدم السّلم الاجتماعي أو الأسس التي تقوم عليها الدولة والمجتمع، أمّا إن اتّجهت إرادته للنقد فقط حتّى وإن استخدم السُخرية كوسيلةٍ للتعبير كأن قام برسم كاريكاتيرٍ معيّن فلا تقوم مسؤوليّته الجزائيّة ولا يُحاسب.[11]

8- شطناوي، مرجع سابق، ص 178.

9- حريّة التّعبير، مقال منشور على موقع منظمة العفو الدوليّة، تاريخ الاطلاع 2020/07/25.

10- راجع الملحق (2) للاطّلاع على النصوص القانونيّة التي أقرّت حريّة الرأي والتّعبير، وهي المادة (19) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة (19) من العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة، المادة (13) من الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان، المادّة (10) من الاتّفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان، المادّة (9) من الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب، وأخيرًا المادتين (32 - 42) من الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان.

11- راجع الملحق (3) للاطّلاع على النصوص القانونيّة ذات الصّلة وردت هذه القيود في المادّة (29) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادتين (19 - 20) من العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة، المادّة (13) من الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان، المادّة (10) من الاتّفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان، والمادّة (32) من الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان.





لمى اللبواني

تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1

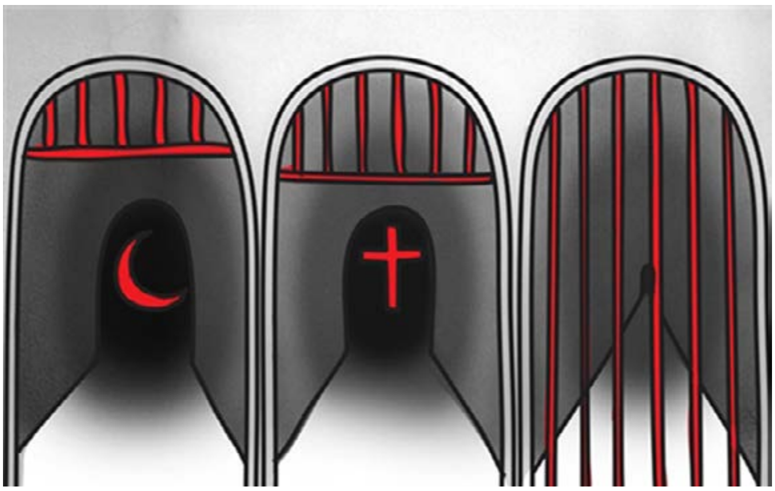


ونفصّل هذه القيود فيما يلي:

أ. حماية حقوق وحريّات وسمعة الآخرين:
وهذا يُفيد حظر أيّ خطابٍ يشكّل جريمة قدحٍ أو ذمٍّ أو تحقير، أو جريمة تحريضٍ على القتل أو الإيذاء. وأيضًا حظر أيّ سلوكٍ يمثّل اعتداءً على حقوق وحريّات الآخر باعتناق الدّين أو المعتقد الذي يشاء، مباشرة شعائره الدّينيّة، تشييد دور العبادة، والتّعبير عن أفكاره ومعتقداته وآرائه، فضلًا عن حريّته بالرأي والتّعبير ونقد آراء ومعتقدات الآخرين.

وكذلك حظر أيّ سلوكٍ ينطوي على تمييزٍ أو اعتداءٍ أو عنف، أيّ حظر أيّ سلوكٍ يشكّل اعتداءً على حقّ الآخر بالحياة وسلامة الجسد والملكيّة والحصول على التعليم والخدمات الصحيّة وغيرها من الحقوق الثّابتة لكلّ إنسان.

ب. حماية الأمن الوطني والقومي والسلامة العامّة والصحة العامّة والأخلاق والآداب العامّة والنّظام العام.[12]
إنّ بعض هذه المفاهيم يمكن قياسها بالاستناد إلى معاييرٍ واضحةٍ وعلميّة كالصحّة العامّة والسلامة العامّة، لكن البعض الآخر لا يمكن تحت أيّ ظرفٍ وضع حدودٍ له وتحديد معاييرٍ معينةٍ له ليتم القياس عليها كالنظام العام والآداب العامّة فهي مفاهيمٌ واسعةٌ وفضفاضةٌ جدًا تختلف باختلاف المكان والزمان بل العائلات والأشخاص والأفكار والعقائد التي يعتنقونها أيضًا، فقد تختلف من مدينةٍ إلى أخرى ومن حيٍّ إلى آخر ضمن المدينة الواحدة! لذلك كانت محلّ جدلٍ مستمرٍ بين الفقهاء.



وهنا يكمن مسمار جحا الذي يفتح الباب على مصراعيه لانتهاك حقوق وحريّات الأفراد المتّفق عليها دوليًّا والمنصوص عليها دستوريًّا بذريعة مخالفة ما صدر عن الإنسان من قولٍ للنظام العام والآداب العامة وتهديده الأمن الوطني والسّلم الاجتماعي، فتؤول هذه النصوص إلى حبرٍ على ورق، وكلماتٍ من غير مضمون.

12- راجع الملحق (4) للتّعرّف على معنى هذه المفاهيم.



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!
الجزء 1

وعليه فلقد أكّدت المعاهدات والمواثيق الدوليّة والإقليميّة أنّ تقييد حقّ حريّة الرأي والتّعبير يجب أن يكون بأضيق الحدود، وبالحدود التي تفرضها الضرورة فقط، وألّا يتجاوز ذلك إلى حدٍّ يؤدي إلى التعسّف، وإهدار هذه الحريّة، وتفريغها من مضمونها، وهذا هو المقصود بعبارة «حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمعٍ ديمقراطي» الواردة في المادّة (10) من الاتّفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان،[13] وبعبارة «الوفاء بالعادل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام» الواردة في المادّة (29) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛[14] فالعادل هنا تعني المعقول والمقبول واللّازم الذي لا يظلم أحدًا، وهذا ما أكّدته أيضًا المادّة (30) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ إذ نصّت على أنّه: «ليس في هذا الإعلان أيّ نصٍّ يجوز تأويله على نحوٍ يفيد انطواءه على تخويل أيّة دولةٍ أو جماعةٍ، أو أيّ فردٍ، أيّ حقٍّ في القيام بأيّ نشاطٍ أو بأيّ فعلٍ يهدف إلى هدم أيّ من الحقوق والحريّات المنصوص عليها فيه».

أيّ بمعنى أنّ هذه القيود قد قُررت للمصلحة العامّة ولحماية الآخرين وليست مبررًا تستند له الحكومات والمجتمعات لتتعسّف باستخدام سلطتها ضد الأفراد. وهذا ما أكّدته أيضًا الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان في المادّة (13) منها، إذ نصّت على أنّه: «3. لا يجوز تقييد حقّ التّعبير بأساليبٍ أو وسائلٍ غير مباشرةٍ، كالتعسف في استعمال الإشراف الحكومي أو غير الرسمي على ورق الصحف ... ».[15]

ولكن حبّذا لو كانت المعاهدات والمواثيق الدوليّة - وكذلك المنظّمات الدوليّة المعنيّة بالرقابة على احترام حقوق الإنسان- قد وضعت معاييرًا أكثر دقّةٍ لقيود حريّة الرأي والتّعبير للحيلولة - قدر الإمكان- دون انتهاكها، ودون التمادي على قواعد القانون الطبيعي إلّا بالقدر الذي تُمليه الضرورة.

حريّة التعبير في التشريعات العربية .. حبرٌ على ورق

لقد أكّدت دساتير الدول العربيّة على حريّة الرأي والتّعبير والبحث العلميّ على غرار المواثيق الدوليّة،[16] إلّا أنّها لم تُحدد المعايير التي يجوز على أساسها تقييد هذه الحريّات، بل تركت تحديد القيود للقوانين، أيّ أعطت صلاحيّةً مطلقةً للسلطة التشريعيّة (البرلمان ورئيس البلاد) لتجريم ما تشاء



أحد اجتماعات وزراء العدل العرب

13- راجع الملحق (3) للاطّلاع على النصّ القانوني كاملًا.

14- راجع الملحق (1) للاطّلاع على النصّ القانوني كاملًا.

15- راجع الملحق (3) للاطّلاع على النصّ القانوني كاملًا.

16- راجع الملحق (5) للاطّلاع على النصوص الدستوريّة التي قرّرت حريّة الرأي والتّعبير في بعض الدساتير العربيّة، وهي في الدستور المصري المواد (23 - 65 - 66)، والدستور الأردني المادّة (15)، والدستور الإماراتي المادّة (30)، والدستور التّونسي الفصلين (31 - 33).



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!

الجزء 1

من السلوكيّات، وهذا انتهاكٌ خطيرٌ للمواثيق الدوليّة ولمبادئ حقوق الإنسان الثّابتة بموجب القانون الطبيعي، فالسلطة التشريعيّة قد تُهدر حقّ الإنسان في حريّة التّعبير بالكامل! وكان من الأجدر بهذه الدساتير أن تسلك مسلك المواثيق الدوليّة وتحصر التقييد فقط في الحدود اللّازمة لمنع المساس بحقوق الآخرين والسّلم الاجتماعي بالقدر الذي تفرضه الضرورة.



وبالفعل أهدرت القوانين العربيّة حقّ الإنسان في حريّة الرأي والتعبير فيما يتعلّق بانتقاد الأديان وإبداء الرأي فيها، وذلك عندما شرّعت مجموعةً من المواد القانونيّة التي تُجرّم التجديف أو ازدراء الأديان، وتصل العقوبة في الأحوال العاديّة في القانون المصري إلى الحبس مدّة خمس سنواتٍ وغرامةٍ تُعادل 1000 جنيه، وفي القانون الأردني تصل إلى الحبس مدّة ثلاث سنواتٍ وغرامةٍ تُعادل 50 دينارٍ، وفي القانون التّونسي تصل العقوبة إلى الحبس مدّة ثلاثة أعوامٍ وغرامةٍ تُعادل ألفي دينار، وأمّا القانون الإماراتي، فقد شدّد العقوبات لتكون بالنسبة لبعض الجرائم عشر سنواتٍ على الأقل، ويمكن رفعها إلى خمس عشرة سنةً وغرامةٍ تُعادل مليوني درهم! [17]

ولم تتناول القوانين العربيّة جريمة ازدراء الأديان بالتّعريف باستثناء القانون الإماراتي، إذ عرّف ازدراء الأديان في المادّة (1) من المرسوم بقانون الاتّحادي في شأن مكافحة التمييز والكراهية لسنة 2015م بأنّه: «كلّ فعلٍ من شأنه الإساءة إلى الذات الإلهية أو الأديان أو الأنبياء أو الرسل أو الكتب السماويّة أو دور العبادة».

كما عرّف خطاب الكراهية بأنّه: «كلّ قولٍ أو عملٍ من شأنه إثارة الفتنة أو النّعرات أو التمييز بين الأفراد أو الجماعات». وحصر نطاق تجريم هذه الأفعال صراحةً بالأديان السماويّة الثلاثة ودور العبادة الخاصة بمعتنقيها؛ إذ ورد في المادّة ذاتها تعريف الأديان ودور العبادة كالتالي: «الأديان: الأديان السماويّة؛ الإسلام والنصرانيّة واليهوديّة. دور العبادة: المساجد والكنائس والمعابد» وهذا موقف القانون المصري كذلك، على خلاف القانونين الأردني والتّونسي اللّذان تركا النصّ مطلقًا ولم يقيّدوه بالأديان السماويّة.

17- راجع الملحق (6) للاطّلاع على النصوص القانونيّة المُجرّمة للأفعال التي تشكّل ازدراءً للأديان، وهي المواد (98/و - 160 - 161 - 161 مكرر) من قانون العقوبات المصري لسنة 1937م، والمواد (273 - 275 - 276 - 277 - 278) من قانون العقوبات الأردني لسنة 1960م، والمواد (182 مكرر 1 - 312 - 315 - 319) من قانون العقوبات الاتّحادي الإماراتي لسنة 1987م، والمادّة (3) من القانون الاتّحادي في شأن الجرائم الماسّة بالدّين الإسلامي لسنة 1978م، والمواد (1 - 4 - 5 - 7 - 10) من المرسوم بقانون الاتّحادي في شأن مكافحة التمييز والكراهية لسنة 2015م، وأخيرًا الفصول (161 - 163 - 165) من المجلّة الجزائيّة التّونسيّة لسنة 2018م، والفصلين (52 – 53) من المرسوم عدد (115) لسنة 2011م المتعلّق بحريّة الصحافة والطباعة والنشر.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

وقانونيًّا، أيّة جريمةٍ لها ثلاثة أركان:

أ. ركنٌ مادّي: وهو السلوك الصادر عن الجاني الذي يشكّل اعتداءً على حقٍّ أو مصلحةٍ يحميها القانون، على سبيل المثال في جريمة القتل يتمثّل الركن المادي بإشهار السلاح الناري في وجه المجني عليه وإطلاق الرصاص، مما يُعتبر اعتداءً على حقّ الآخر بالحياة.

ب. ركنّ معنوي: وله عنصران: العلم والإرادة؛ أمّا العلم فهو علم الجاني بطبيعة السلوك أو الفعل الذي يُباشره والنتيجة الجُرميّة التي قد يُفضي إليها. والمقصود بالنتيجة الجُرميّة الاعتداء الواقع على حقٍّ أو مصلحةٍ يحميها القانون، ففي جريمة القتل تكون النتيجة الجرميّة هي الوفاة. وأمّا الإرادة فهي اتّجاه إرادة الجاني لارتكاب الفعل وتحقيق النتيجة، وهنا تكون الجريمة عمديّة أو قصديّة، ومثالها في القتل اتّجاه إرادة القاتل لإطلاق الرصاص قاصدًا إنهاء حياة المجني عليه. كما قد تتّجه إرادة الجاني إلى ارتكاب الفعل دون تحقيق النتيجة، فنكون أمام جريمةٍ غير عمديّة، ومثالها في القتل اتّجاه إرادة القاتل لإطلاق الرصاص دون أن يقصد إنهاء حياة المجني عليه، كأن يكون قصده من إطلاق الرصاص إخافة المجني عليه فقط.

جـ. الركن القانوني أو الشرعي: وهو وجود نصٍ صريحٍ في قوانين العقوبات يُجرّم هذا الفعل ويحدد عقوبته.

وجرائم ازدراء الأديان، وإن اختلفت مسمّياتها، شأنها شأن أيّة جرائمٍ أخرى تحتاج إلى أركانٍ ثلاثة:

أ. الركن المادي: لقد حدّدت القوانين العربيّة السلوكيّات المُجرّمة، ونُجملها بما يلي:

1. التطاول على الذات الإلهية أو الطعن فيها أو المساس بها.
2. الإساءة إلى أيّ من الأديان أو طائفةٍ من الطوائف أو إحدى شعائرها أو احتفالاتها أو مقدساتها أو تجريحها أو التطاول عليها أو السخرية منها أو المساس بها أو رمي أيّ أفرادٍ أو جماعاتٍ بالكفر بما لا يفيد التّحريض على قتلهم أو إيذائهم.
3. التشويش على إقامة الشعائر أو الاحتفالات الدّينية المرخّصة.
4. التعدي على أيّ من الكتب السماوية بالتّحريف أو الإساءة.
5. التطاول على أحد الأنبياء أو الرسل أو على زوجاتهم أو آلهم أو صحابتهم أو السخرية منهم أو المساس بهم.
6. استغلال الدّين للتّرويج لأفكارٍ متطرّفةٍ بقصد ازدراء أحد الأديان.



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1

وهذه الأفعال مجرّمة سواء ارتُكبت بالقول أو الكتابة أو الرسم أو التصوير أو الغناء أو التمثيل أو الإشارة أو الإيماء أو إصدار أيّ صوتٍ يمكن أن يُفهم على أنّه إساءة. والنتيجة الجُرميّة في هذه الجريمة هي وقوع اعتداءٍ على الأديان أو نصوصها أو كتُبها المقدّسة أو دور العبادة أو الأنبياء وزوجاتهم وآلهم وصحابتهم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ القانون الإماراتي دون غيره من القوانين أضفى على الدين الإسلامي حمايةً خاصّةً؛ إذ خصّص قانونًا خاصًّا للجرائم الماسّة بالدّين الإسلامي، وهو القانون رقم (18) لسنة 1978م، الذي يُجرّم أيّة مناهضةٍ لتعاليم هذا الدين، أو أيّ جرحٍ لأسسه وتعاليمه في المادّة (3) منه.

كما جرّم القانون الإماراتي خطاب الكراهية في المادّة (7) من المرسوم بقانون الاتّحادي في شأن مكافحة التميز والكراهية لسنة 2015م، والقانون التونسي كذلك في الفصل (52) من المرسوم عدد (115) لسنة 2011م المتعلّق بحريّة الصحافة والطباعة والنشر.

وهذه الجريمة تُستخدم في كثيرٍ من الأحيان لتجريم ازدراء الأديان أيضًا؛ إذ يحتج القضاء بأنّ ما صدر عن المتّهم من قولٍ عند إبدائه لرأيه في دينٍ ما وخصوصًا إن استعمل السخرية كوسيلةٍ للتعبير، يُثير الفتنة بين الناس وبالتالي يُشكّل جريمة كراهية.



آمنة الشرقي

وهذا ما حصل مع المدوّنة التونسيّة آمنة الشرقي التي اشتُهرت عقب نشرها صورةٍ على موقع فيسبوك تحتوي على نصٍّ يقلّد شكل سورةٍ قرآنية، فحوكمت أمام القضاء التونسي بتهمة

«الدعوة إلى الكراهية بين الأجناس والأديان أو السكان، وذلك بالتحريض على التمييز واستعمال الوسائل العدائيّة»

و«النيل من إحدى الشعائر الدينية المرخّص فيها»

بموجب الفصلين (52 – 53) من المرسوم عدد (115) لسنة 2011م المتعلّق بحريّة الصحافة والطباعة والنشر، وصدر بحقّها حكمٌ جزائي من المحكمة الابتدائيّة بالحبس ستة أشهرٍ.[18]

18- تونس: الحكم على المدونة آمنة الشرقي بالسجن ستة أشهر بسبب تعليق لها على وسائل التواصل الاجتماعي، مقال منشور على موقع منظّمة العفو الدوليّة، تاريخ الاطّلاع 2020/08/09.

تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!



ب. الركن المعنوي: علمنا مسبقًا أنّ للركن المعنوي عنصران: العلم والإرادة، فإن انتفيا لا يُجرّم الفعل ولا تقوم المسؤوليّة الجزائيّة للفاعل، ومثال ذلك أن يكون شخصٌ في زيارةٍ لكنيسةٍ ما ويقوم آخر بدفعه فيقع على طاولةٍ يوجد عليها تمثالٌ لمريم العذراء فيُكسر، هنا انتفى عنصرَي العلم والإرادة، ولا سبيل لمعاقبة الشخص بتهمة إتلاف محتويات دار العبادة.

وهذه الجريمة في بعض صورها - خصوصًا صورة إتلاف أو تدنيس دور العبادة ومحتوياتها والكتب السماويّة- قد تكون عمديّة أو غير عمديّة.

وتكون الجريمة عمديّة إذا اتّجهت إرادة الجاني لارتكاب الفعل الجُرمي وتحقيق النتيجة الجُرميّة حتّى وإن لم تتحقق النتيجة لأسبابٍ خارجةٍ عن إرادته، ومثالها أن يفتعل شخصٌ ما حريقًا في دار عبادةٍ أو أن يمزّق كتابًا سماويًّا.

وقد تكون غير عمديّة إذا انصرفت إرادة الجاني لارتكاب الفعل فقط دون تحقيق النتيجة الجُرميّة، ومثالها نشوب حريقٍ في المسجد إثر عدم احتراز أحد زائريه عند إشعال المدفئة.

وفي الحالتين تقوم المسؤوليّة الجزائيّة للجاني إلّا أنّ العقوبة تُخفّف عن مُرتكب الجريمة غير العمديّة.

جـ. الركن القانوني أو الشرعي: وهذا متحقّقٌ في النصوص القانونيّة المذكورة أعلاه التي أوردتها قوانين الدول العربيّة بخصوص تجريم ازدراء الأديان، والتي حدّدت السلوكيّات المجرّمة وعقوبة كلٍّ منها.

وهنا يُثار التساؤل حول مدى اتّفاق المواد الدستوريّة المُقرّرة لحريّة الرأي والتّعبير، والمواد القانونيّة المجرّمة لازدراء الأديان مع المعاهدات والمواثيق الدوليّة المُقررة لهذه الحريّة؟

وما مدى شرعيّة هذا القيد على حريّة التّعبير من الناحية النظريّة؟ وهل يمسّ هذا القيد جوهر هذه الحريّة من الناحية العمليّة التطبيقيّة في المحاكم؟



لمى اللبواني



تجريم الحرّيّة وحريّة التّجريم!

الجزء 1

الأصل في المواثيق الدوليّة -كما رأينا - أن توضع القيود على حريّة الرأي والتّعبير بهدف حماية حقوق الآخرين والسّلم الاجتماعي، وليس بهدف حماية الأديان والعقائد بذاتها، وهذا يمثّل الغاية من التجريم والحقّ والمصلحة المحميّان قانونًا. لكن عقب مراجعة النصوص التجريميّة العربيّة، اتّضح أنّ هذه النصوص بمعظمها استهدفت بالقيود التي أوردتها حماية الأديان لا حماية حقوق الآخرين والسّلم الاجتماعي، حتّى أنّ بعضها قصر الحماية على الأديان السماويّة فقط، بل بالغ في حماية الدّين الإسلامي على وجه الخصوص! وهذا يُخالف ما ذهبت إليه المواثيق الدوليّة. وحبّذا لو اكتفت القوانين العربيّة بتجريم الأفعال التالية: استغلال الدّين للتّرويج لأفكارٍ متطرّفةٍ بقصد إثارة الفتنة أو الإضرار بالوحدة الوطنيّة، والرّمي بالكفر تحريضًا على القتل، وإتلاف وتخريب وتدنيس دور العبادة، وإتلاف وتدنيس الكتب المقدّسة، وأخيرًا منع الآخرين من مباشرة شعائرهم الدينيّة بالتهديد والعنف،[19] فهذه الأفعال تستهدف حماية حقوق الآخرين والسّلم الاجتماعي، ولا تتعارض مع القيود المنصوص عليها في المواثيق الدوليّة، ولا تنتهك القانون الطبيعي.

وأمّا فيما يخصّ الجانب العملي التطبيقي لجريمة ازدراء الأديان في المحاكم، فيُلاحظ أنّه وبسبب إضفاء الحماية على الأديان بحدّ ذاتها سواء كان الفعل المُرتكب يشكّل خطورةً جديّةً على السّلم الاجتماعي أم لا يشكّل أيّة خطورةٍ، وبسبب استخدام مُفرداتٍ عامّةٍ واسعةٍ تحتمل تأويلاتٍ متعددة (كالتطاول، والإساءة، والمساس، والتّجريح، وغيرها)، أصبح من غير الممكن وضع خطٍّ فاصلٍ بين الأفعال والأقوال التي تشكّل جُرمًا وتلك التي تُعدّ مباحةً وتُعتبر ممارسةً لحقّ حريّة الرأي والتّعبير. ممّا وسّع من سلطة القاضي التقديريّة في التّجريم؛ إذ يرجع للقاضي تحديد فيما إذا كان ما صدر عن المتّهم من قولٍ يُعتبر نقدًا مباحًا أم يُعتبر ازدراءً لدينٍ ما، فقد يوسّع القاضي من دائرة التّجريم أو يضيّقها وفقًا لمعتقداته الشخصيّة، وهذا يُهدر أبرز المبادئ التي تقوم عليها فلسفة التّجريم والعقاب، وهو مبدأ شرعيّة الجرائم والعقوبات، الذي يوجب حصر التجريم والعقاب في نصوص القانون؛ فالأصل في الأفعال الإباحة ما لم يرد نصٌّ صريحٌ يجرّمها، فلا يستطيع القاضي أن يعتبر فعلًا معينًا جريمةً إلّا إذا وجد نصٌّ تشريعيٌّ يجرمه، مهما كان مقتنعًا بأنّه مناقضٌ للعدالة أو الأخلاق أو الدين أو ضارٌّ بالمجتمع.[20]



وتكمن أهميّة هذا المبدأ من كونه يستهدف حماية حقوق الأفراد فهو يضع للأفراد حدودًا واضحةً لا تقبل التأويل تفصل بين المشروع وغير المشروع من الأقوال والأفعال، ويجعل دور القاضي مقتصرًا على تطبيق القانون مع منحه سلطةً تقديريّةً في تحديد مقدار العقوبة ضمن الحدود المُقررة قانونًا.[21]

19- راجع المُلحق (6) للاطّلاع على النصوص القانونيّة المجرّمة لهذه الأفعال، وهي المادتان (98/و – 160) من قانون العقوبات المصري لسنة 1937م، والمادتان (275 – 277) من قانون العقوبات الأردني لسنة 1960م، والمادّة (182 مكرر 1) من قانون العقوبات الاتّحادي الإماراتي لسنة 1987م، والمادتان (4 – 10) من المرسوم بقانون الاتّحادي في شأن مكافحة التمييز والكراهية لسنة 2015م، والمادتان (161 – 163) من المجلّة الجزائيّة التّونسيّة لسنة 2018م.

20- حسني، محمود نجيب، شرح قانون العقوبات: القسم العام: المجلّد الأوّل، الطبعة الثالثة، منشوارات الحلبي الحقوقية، لبنان، ص 109 – 110.

21- حسني، شرح قانون العقوبات: القسم العام: المجلّد الأوّل، مرجع سابق، ص 112 – 114.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!
الجزء 1



لمى اللبواني

أحمد القبانجي



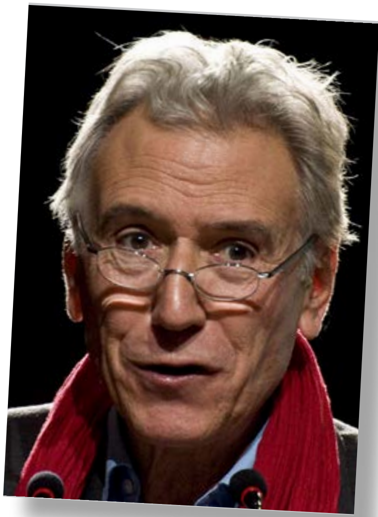
كلّ ما سبق يُفسّر زجّ رجال الدّين المتنوّرين والباحثين في السجون لمجرّد انتقادهم الخطاب الديني الموروث ومحاولتهم تجديد هذا الخطاب بما يتّفق مع العقل والزمن الحاضر.

ومثالهم المُفكّر أحمد القبانجي الذي تبرّأت عائلته منه في أكثر من مناسبةٍ على خلفيّة أفكاره التنويريّة، واعتقلته السلطات الإيرانيّة من مدينة قمٌّ في 17 شباط/ فبراير 2013م على خلفيّة أفكاره التي اعتبرتها منافيةً للدّين الإسلامي،[22] وأُطلق سراحه بتاريخ 10 آذار/ مارس 2013م.[23]



إسلام البحيري

وكذلك الباحث والمنظّر في شؤون الدّين الإسلامي إسلام البحيري الذي صدر حكمٌ بحبسه لمدّة سنةٍ واحدةٍ بتاريخ 28 كانون الأوّل/ ديسمبر 2015م بتهمة ازدراء الدين الإسلامي، بسبب تصريحاته المشكّكة في الأحاديث النبويّة، وأئمة المذاهب الأربعة.[24] وعليه فيكفي أن تتّجه إرادة الشخص للنّقد ليُحاكم ويُحبس، طالما يُعتبر رأيه غير مقبولٍ ولا مرحّبٍ به من وجهة نظر غالبيّة المجتمع والقاضي النّاظر في الدعوى!



رويز

وفي هذا السياق نُورد بضعًا ممّا أورده الفيلسوف الفرنسي هنري بينا رويز Henri Pena-Ruiz[25] في كتابه «ما هي العلمانية؟»، من أنّ الأفراد بمختلف خياراتهم الروحية يتحلّون بالاحترام المتبادل، بالاستناد إلى حرية الاعتقاد وحرية الفكر.

ويُوَجّه هذا الاحترام للشخص ذاته وليس لمحتوى معتقداته، فهذه الأخيرة يجب أن يُسمح بمناقشتها بحريةٍ تامّةٍ بل ونقدها بشدةٍ كذلك، فاحترام أصحاب العقائد وحريّتهم في معتقدهم لا يعني بالضرورة احترام ما تتضمنه معتقداتهم، وكذلك للكُتّاب حريّة السخرية والاستفزاز، لكن هذا لا يعني أبدًا احترام مضامين أقوالهم، فلسلمان رشدي الحق في التهكّم على الإسلام مثلما تهكّم فولتير على الكاثوليكية.[26]

22- عائلة أحمد القبانجي تؤكد اعتقاله وتجدد براءتها منه، مقال منشور على موقع السومريّة، تاريخ الاطّلاع 2020/08/09.

23- إطلاق سراح المفكر العراقي احمد القبانجي من السجون الإيرانية، مقال منشور على موقع السومريّة، تاريخ الاطّلاع 2020/08/09.

24- ننشر حيثيات حكم حبس إسلام بحيرى بتهمة ازدراء الأديان - المحكمة: المتهم بثّ أفكار متطرفة تحت ستار الدين بزعم تجديد الخطاب... الإعلامي استغل برنامجه بقصد إثارة الفتنة وتحقير وازدراء الدين الإسلامي، مقال منشور على موقع جريدة اليوم السابع، تاريخ الاطّلاع 2020/08/09.

25- Henri Pena-Ruiz (تولد 1947)، فيلسوف وكاتب فرنسي حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون عام 2002م، متخصص في العلمانية وتمّ تعيينه من قبل وزير التربية الوطنية عام 2002م كعضوٍ في اللّجنة الوطنية للتفكير والمقترحات في شأن العلمانية في المدارس، مُحاضر في معهد الدراسات السياسية في باريس وعضو في حزب اليسار.

26- رويز، هنري بينا (2005)، ما هي العلمانية؟، الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا. ترجمة ريم منصور الأطرش ص 63 – 64.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

وما هو جديرٌ بالاحترام من ثقافةٍ ما، هو ما لا يتعارض مع الضرورات ذات القيمة الإنسانيّة اللّازمة لتأسيس المجتمع والاندماج مع الآخرين، وعلى سبيل المثال، كلّ ما هو متعلقٌ بحقوق الإنسان. وفي هذا الإطار تكون الحريّة الفرديّة والمساواة بين الجنسين مبدأين لا تقهرهما أيّة ممارسةٍ ثقافيةٍ ولا يقبلان أيّة مساومةٍ حتى لو ادّعت جماعةٌ ما أنّهما لا يتفقان مع أعرافها.[27]

وأكّد رويز كذلك أنّ هناك خلطًا مُتعمّدًا بين احترام العقائد واحترام أصحابها لغرض الدفع نحو قوانينٍ تجرّم اتّهام المذاهب الدينية أو رموزها وكلّ ذلك يؤدي إلى قمع الحريات، فمنع عرض فيلم «الإغواء الأخير للمسيح» أو منع نشر كتاب «الآيات الشيطانية» أو حتّى معاقبة التجديف أو ازدراء الأديان، كلّ هذا ينتهي بتحويل قناعةٍ خاصةٍ إلى قانونٍ مفروضٍ على الجميع. فالتفوّه بعباراتٍ استفزازيةٍ ومهينةٍ بحقّ قناعةٍ ما، لا يجوز للقانون أن يُعاقب عليه لأنّ القانون لا يُعاقب على خطيئة نقص الرهافة واللّياقة، وإنّما هذا من واجب النظام الأخلاقي، على ألّا يصل هذا الهجاء أو السخرية إلى حدّ استهداف أشخاصٍ معيّنين أيّ يجب أن يبقى منحصرًا باستهداف العقائد والأيديولوجيات كأفكار. فإذا فكّر بعض المتدينين في الإدانة القانونية لكلّ نقدٍ أو هجاءٍ يتصدى لمذهبهم، فإنّ بعض الشيوعيين سيكونون أيضًا مؤهلين لمنع كلّ نقدٍ أو هجاءٍ للشيوعية، لأنّه بذلك يتحوّل حق إنشاء القناعات بحريّة إلى واجب احترامها مهما حوت من أفكار، وإذا سمحت الدّول بمثل هذا فستكون قد رهنت أغلى ما عندها من ممتلكاتٍ وهو العقل الناقد الضروري لممارسة المواطنة المتنوّرة.[28]



ونضيف هنا أنّه إن كان من حقّ معتنقي كلّ دينٍ أن يُدينوا ويُحاكموا كلّ من تطاول على مقدّساتهم فهذا يعني أنّه من حقّ مُعتنقي الدّين الهندوسي فرض إظهار الاحترام للأبقار بقوّة القانون ومُعاقبة كلّ من انتهك قدسيّتها، وليس من حقّ المسلمين مُطالبة الحكومة الهنديّة بضمان ممارستهم لشعائرهم الدينيّة بذبح الأبقار كأضحياتٍ في عيد الأضحى.

27- رويز، مرجع سابق، ص 136 – 137.

28- رويز، مرجع سابق، ص 109 – 110.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

وهنا نرى أنّ إدخال الدّين في السياسة واعتباره مصدرًا للتشريع في الدولة بما في ذلك أقوال وأفعال الأنبياء، يفيد تحويله لقانونٍ يُفرض على الناس قهرًا سواء كانوا مؤمنين به أم لا ومع تفاوت درجة إيمانهم، وهذا ما يضعه في محلّ نقدٍ ولومٍ وحتّى ازدراءٍ وسباب، لذا ليس للمؤمنين التذّمر من الانتقادات الموجّهة لدينهم فهم من وضعوه في هذا الموضع ابتداءً، ومن حقّ كلّ إنسانٍ أن يتمسّك بحريّته ويحميها بشتّى الوسائل من القيودِ التي لا يؤمن بها طالما لم يمسّ أثناء ذلك بحقوق الآخرين.



وعليه ففي ظلّ السياسة التّشريعيّة التّجريميّة الحاليّة في الدول العربيّة، غالبُنا قد يقع يومًا ما تحت طائلة المسؤوليّة الجزائيّة عن جُرم ازدراء الأديان إن هو حاول فقط انتقاد الموروث الدّيني. فكيف يتم تحريك الدعوى الجزائيّة؟

هل تتطلّب تقديم شكوى؟

ما احتمال بقائنا خارج السجن خلال فترة المحاكمة؟

وما هي ظروف تشديد العقوبة في هذا النوع من الجرائم كي نتجنّبها؟

وما هي ظروف وآليّات تخفيفها كي ندفع بها أمام القضاء ونلتمس من المحكمة تقريرها والحكم بها؟



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1

الملاحق

المُلحق (1)

أ. نصّت ديباجة ميثاق الأمم المتّحدة على أنّه: «نحن شعوب الأمم المتّحدة وقد آلينا على أنفسنا [...] أن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسيّة للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوقٍ متساويةٍ [...] وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدمًا، وأن نرفع مستوى الحياة في جوٍّ من الحريّة أفسح...».

ب. حدّدت المادّة الأولى من ميثاق الأمم المتّحدة مقاصد الأمم المتّحدة، ومنها: «3. تحقّيق التعاون الدولي [...] على تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريّات الأساسية للناس جميعًا والتشجيع على ذلك إطلاقًا بلا تمييزٍ بسبب الجنس أو اللغة أو الدّين ولا تفريقٍ بين الرجال والنساء...».

جـ. ورد في ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948م ما يلي: «ولمّا كانت شعوب الأمم المتّحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسيّة وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوقٍ متساوية، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدمًا، وأن ترفع مستوى الحياة في جوٍّ من الحريّة أفسح. ولمّا كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتّحدة على ضمان اطّراد مراعاة حقوق الإنسان والحريّات الأساسيّة واحترامها [...] فإنّ الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنّه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم...».

د. ورد في ديباجة العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة لسنة 1976م، ما يلي: «إنّ الدول الأطراف في هذا العهد [...] وإذ تضع في اعتبارها ما على الدول، بمقتضى ميثاق الأمم المتّحدة، من الالتزام بتعزيز الاحترام والمراعاة العالميين لحقوق الإنسان وحريّاته [...] قد اتّفقت على المواد التالية...».

المُلحق (2)

أ. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948م:

المادّة (19): «لكلّ شخصٍ حقّ التمتُّع بحريّة الرأي والتّعبير، ويشمل هذا الحقّ حريّته في اعتناق الآراء دون مضايقةٍ، وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقّيها ونقلها إلى الآخرين، بأيّة وسيلةٍ ودونما اعتبارٍ للحدود».

ب. العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة لسنة 1976م:

المادّة (19): «1. لكلّ إنسانٍ حقٌّ في اعتناق آراءٍ دون مضايقة. 2. لكلّ إنسان حقٌّ في حريّة التّعبير. ويشمل هذا الحقّ حريّته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبارٍ للحدود، سواء على شكلٍ مكتوبٍ أو مطبوعٍ أو في قالبٍ فني أو بأيّة وسيلةٍ أخرى يختارها...».

جـ. الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان لسنة 1969م:

المادّة (13): «1. لكلّ إنسانٍ الحقّ في حريّة الفكر والتّعبير، ويشمل هذا الحقّ حريّته في البحث عن مختلف أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين، دونما اعتبارٍ للحدود، سواء شفاهًا أو كتابةً أو طباعةً أو في قالبٍ فنيٍ أو بأيّة وسيلةٍ يختارها...».

د. الاتّفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان لسنة 1950م:

المادّة (10): «1. لكلّ إنسانٍ الحقّ في حريّة التّعبير. هذا الحقّ يشمل حريّة اعتناق الآراء وتلقّي وتقديم المعلومات والأفكار دون تدخلٍ من السلطة العامة، وبصرف النظر عن الحدود الدوليّة...».

هـ. الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لسنة 1981م:

المادّة (9): «2. يحقّ لكل إنسانٍ أن يعبّر عن أفكاره وينشرها في إطار القوانين واللوائح».

و. الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان لسنة 2004م:

المادّة (32): «1. يضمن هذا الميثاق الحقّ في الإعلام وحريّة الرأي والتّعبير وكذلك الحقّ في استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأيّة وسيلةٍ ودونما اعتبارٍ للحدود الجغرافية...».

المادّة (42): «2. تتعهّد الدول الأطراف باحترام حريّة البحث العلمي وتكفل حماية المصالح المعنويّة والماديّة الناتجة عن الإنتاج العلمي أو الأدبي أو الفني...».

المُلحق (3)

أ. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948م:

المادّة (29): «2. لا يُخضع أيّ فردٍ، في ممارسة حقوقه وحريّاته، إلاّ للقيود التي يقرِّرها القانونُ مستهدفًا منها، حصرًا، ضمانَ الاعتراف الواجب بحقوق وحريّات الآخرين واحترامها، والوفاءَ بالعادل من مقتضيات الفضيلة والنظام العام ورفاه الجميع في مجتمعٍ ديمقراطي».

ب. العهد الدولي للحقوق المدنيّة والسياسيّة لسنة 1976م:



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

المادّة (19): «3. تستتبع ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة (2) من هذه المادّة واجباتٍ ومسؤولياتٍ خاصة. وعلى ذلك يجوز إخضاعها لبعض القيود ولكن شريطة أن تكون محددةً بنص القانون وأن تكون ضروريةً: (أ) لاحترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، (ب) لحماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة».

المادّة (20): «1. تُحظر بالقانون أيّة دعايةٍ للحرب. 2. تُحظر بالقانون أيّة دعوةٍ إلى الكراهية القومية أو العنصرية أو الدّينية تشكل تحريضًا على التمييز أو العداوة أو العنف».

جـ. الاتّفاقيّة الأمريكيّة لحقوق الإنسان لسنة 1969م:

المادّة (13): «2. لا يجوز أن تخضع ممارسة الحقّ المنصوص عليه في الفقرة السابقة لرقابةٍ مسبقةٍ، بل يمكن أن تكون موضوعًا لفرض مسؤوليّةٍ لاحقةٍ يحددها القانون صراحةً وتكون ضروريةً من أجل ضمان: أ. احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم، ب. حماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق العامة. 3. لا يجوز تقييد حقّ التّعبير بأساليب أو وسائل غير مباشرةٍ، كالتعسف في استعمال الإشراف الحكومي أو غير الرسمي على ورق الصحف، أو تردد موجات الإرسال الإذاعية أو التلفزيونية، أو الآلات أو الأجهزة المستعملة في نشر المعلومات، أو بأيّة وسيلةٍ أخرى من شأنها أن تعرقل نقل الأفكار والآراء وتداولها وانتشارها [...] 5. وإنّ أيّة دعايةٍ للحرب وأيّة دعوةٍ إلى الكراهية القومية أو الدّينية، واللذين يشكلان تحريضًا على العنف المخالف للقانون، أو أيّ عملٍ غير قانوني آخر ومشابه ضد أيّ شخصٍ أو مجموعة أشخاص، مهما كان سببه، بما في ذلك سبب العرق أو اللون أو الدّين أو اللغة أو الأصل القومي، تعتبر جرائمًا يعاقب عليها القانون».

د. الاتّفاقيّة الأوروبيّة لحقوق الإنسان لسنة 1950م:

المادّة (10): «2. هذه الحريّات تتضمن واجباتٍ ومسؤوليات. لذا يجوز إخضاعها لشكلياتٍ إجرائيةٍ، وشروطٍ، وقيودٍ، وعقوباتٍ محددة في القانون حسبما تقتضيه الضرورة في مجتمعٍ ديمقراطي، لصالح الأمن القومي، وسلامة الأراضي، وأمن الجماهير وحفظ النظام ومنع الجريمة، وحماية الصحة والآداب، واحترام حقوق الآخرين، ومنع إفشاء الأسرار، أو تدعيم السلطة وحياد القضاء».

هـ. كذلك أورد الميثاق العربيّ لحقوق الإنسان لسنة 2004م:

المادّة (32): «2. تُمارس هذه الحقوق والحريّات في إطار المقوّمات الأساسيّة للمجتمع ولا تخضع إلّا للقيود التي يفرضها احترام حقوق الآخرين أو سمعتهم أو حماية الأمن الوطني أو النظام العام أو الصحة العامة أو الآداب العامة».

المُلحق (4)

أ. الأمن الوطني والقومي: إنّ الأمن الوطني يرتبط عادةً بحماية إقليم الدّولة، أمّا الأمن القومي فيرتبط بحماية جماعةٍ أو أمّةٍ واحدة، والتي قد تكون متّحدةً في دولةٍ واحدةٍ كالأمّة الفرنسيّة، أو قد تكون مجزئةً وموزعةً على أكثر من دولةٍ كالأمّة العربيّة.[29] هذا من الناحية الجغرافيّة، أمّا من الناحية الموضوعيّة فالأمن الوطني يعني الأمن العام والأمن الخاص، أمّا الأمن العام فهو يشمل كافّة فروع ومناحي الحياة، مثل الأمن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي والإعلامي والعسكري وغيره، وأمّا الأمن الخاص فهو المعني بعلوم الأمن، سواء أمن الأفراد أو أمن المعلومات أو أمن المؤتمرات وغيره.[30] وعليه يمكن الأخذ بالتعريف الذي أورده وزير الدّفاع الأمريكيّ روبرت ماكنامارا Robert McNamara [31] للأمن الوطني والقومي بأنّه: «ما تقوم به الدّولة أو مجموعة الدول التي يضمّها نظامٌ جماعيٌ واحدٌ من إجراءاتٍ في حدود طاقتها للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل مع مراعاة المتغيّرات المحليّة والدوليّة».[32]

ب. السلامة العامّة: هي المحافظة على الأرواح والممتلكات والبيئة، باتخاذ التدابير الوقائيّة لمنع الحوادث والتلوّث والدّمار.[33]

جـ. الصحة العامّة: هي مجموعة التدابير الوقائيّة والعلاجيّة المعنيّة بحماية المواطنين من مخاطر الأوبئة والأمراض والجراثيم التي تهدد صحتهم، وهي تمتد لتشمل فضلًا عن صحة الأفراد، الصحة في الأماكن العامّة والمنشآت الصناعيّة والتجاريّة والمساكن الخاصّة.[34]

د. الأخلاق والآداب العامّة: هي مجموعة الأصول والأسس الأخلاقيّة التي يقوم عليها نظام المجتمع، واللّازمة لبقائه وتماسكه في دولةٍ معيّنةٍ وزمنٍ معينٍ. وفكرة الآداب العامّة هي فكرةٌ نسبيةٌ تستعصي على التحديد الدقيق، وثار بشأنها خلافًا كبيرًا بين الفقهاء، فهي متغيرةٌ بتغيّر المكان والزمان، ومتأثرةٌ بالمعتقد الدّيني

29- المعموري، علي عبد الهادي (2017)، الأمن الوطني والأمن القومي، مقال منشور على موقع مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، تاريخ الاطلاع 2020/07/26.

30- طشطوش، هايل عبد المولى (2012)، الأمن الوطني وعناصر قوة الدّولة في ظلّ النظام العالمي الجديد، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ص 13.

31- روبرت ماكنمارا (1916-2009) شغل منصب وزير الدّفاع الثامن للولايات المتّحدة الأمريكيّة بين عاميّ 1961-1968 ثمّ تولّى منصب رئيس البنك الدوليّ بين عاميّ 1968- 1981.

32- طشطوش، مرجع سابق، ص 22.

33- تعريف ومفهوم السلامة، موقع المديرية العامة للدفاع المدني السعودي، تاريخ الاطلاع 2020/07/26.

34- كنعان، نواف (2010)، القانون الإداري: الكتاب الأول، الطبعة الرابعة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 282.



لمى اللبواني



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم!

الجزء 1

والعادات والتقاليد الموروثة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ القانون لا يهتم بجميع قواعد الأخلاق، وإنّما يستهدف بالحماية فقط الأخلاق التي تشكّل النّاموس الأدبيّ الذي يسود الروابط داخل المجتمع في الدّولة بالكامل، فيجرّم القانون في بعض الدول الدعارة والبغاء والمقامرة والعلاقات الجنسيّة خارج إطار الزواج والتعرّي في غير الأماكن المخصّصة لذلك، بينما لا يجرّم أغلب حالات الكذب،[35] والامتناع عن مساعدة المحتاجين والضعفاء، وعدم التسامح، وعدم المشاركة في المآتم والأفراح، وارتداء ملابس البحر والشورت والفساتين القصيرة وغيرها من الملابس والأزياء، وإن أثارت سُخط المجتمع في مناطقٍ محددةٍ من الدّولة.

هـ. النّظام العام: هو مجموعة المصالح والأسس التي يقوم عليها كيان الدّولة والمجتمع، سواء كانت سياسيّةً أو اقتصاديّةً أو اجتماعيّةً أو أدبيّة، كتلك المتعلقة بتنظيم الدّولة وممارسة سيادتها، والإنتاج القومي وتداول النقد، وكفالة الأمن، وتنظيم الأسرة والتضامن الاجتماعي والنّاموس الأدبيّ وغيرها. وفكرة النّظام العام تستعصي أيضًا على التحديد الدقيق، وهي من أكثر الأمور التي أثارت الجدل في الفقه القانوني؛ إذ أنّ المصلحة العامّة التي تُشكّل جوهر فكرة النّظام العام، متطورةٌ ومتغيرةٌ بتغيّر الدّولة والمجتمع والزمان والفكر السائد.[36]

المُلحق (5)

أ. الدستور المصري لسنة 2014م وتعديلاته حتّى سنة 2019م:

المادّة (23): «تكفل الدّولة حريّة البحث العلمي وتشجيع مؤسساته، باعتباره وسيلةً لتحقيق السيادة الوطنية...».

المادّة (65): «حريّة الفكر والرأي مكفولةٌ. ولكلّ إنسانٍ حقّ التّعبير عن رأيه بالقول، أو بالكتابة، أو بالتصوير، أو غير ذلك من وسائل التّعبير والنشر».

المادّة (66): «حريّة البحث العلمي مكفولةٌ، وتلتزم الدّولة برعاية الباحثين والمخترعين وحماية ابتكاراتهم والعمل على تطبيقها».

ب. الدستور الأردني لسنة 1952م وتعديلاته حتّى سنة 2011م:

المادّة (15): «1. تكفل الدّولة حريّة الرأي، ولكلّ أردني أن يُعرب بحريّة عن رأيه بالقول والكتابة والتصوير وسائر وسائل التّعبير بشرط ألّا يتجاوز حدود القانون.
2. تكفل الدّولة حريّة البحث العلمي والإبداع الأدبي والفني والثقافي والرّياضي بما لا يخالف أحكام القانون أو النظام العام والآداب...».

جـ. الدستور الإماراتي لسنة 1971م وتعديلاته حتّى سنة 2009م:

المادّة (30): «حريّة الرأيّ والتّعبير عنه بالقول والكتابة، وسائر وسائل التّعبير مكفولةٌ في حدود القانون).

د. الدستور التّونسي لسنة 2014م:

الفصل (31): «حريّة الرأيّ والفكر والتّعبير والإعلام والنشر مضمونةٌ. لا يجوز ممارسة رقابةٍ مسبقةٍ على هذه الحريات).

الفصل (33): «الحريّات الأكاديمية وحريّة البحث العلمي مضمونةٌ. توفّر الدّولة الإمكانيات اللّازمة لتطوير البحث العلمي والتكنولوجي».

المُلحق (6)

أ. قانون العقوبات المصري رقم (58) لسنة 1937م وتعديلاته حتّى سنة 2020م:

المادّة (98) فقرة (و): «يُعاقب بالحبس مدةً لا تقلّ عن ستة أشهر ولا تجاوز خمس سنوات أو بغرامةٍ لا تقلّ عن خمسمائة جنيه ولا تجاوز ألف جنيه كلّ من استغلّ الدّين في التّرويج بالقول أو بالكتابة أو بأيّة وسيلةٍ أخرى لأفكارٍ متطرفةٍ بقصد إثارة الفتنة، أو التحقير، أو ازدراء أحد الأديان السماوية، أو الطّوائف المنتمية إليها أو الإضرار بالوحدة الوطنية».

المادّة (160): «يُعاقب بالحبس وبغرامةٍ لا تقلّ عن مائة جنيه ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين: أوّلًا - كلّ من شوّش على إقامة شعائر ملّةٍ أو احتفالٍ ديني خاصٍّ بها أو عطّلها بالعنف أو التهديد. ثانيًا - كلّ من خرّب أو كسر أو أتلف أو دنّس مباني معدّة لإقامة شعائر دينٍ أو رموزًا أو أشياءً أخرى لها حرمةٌ عند أبناء ملّةٍ أو فريقٍ من الناس. ثالثًا - كلّ من انتهك حرمة القبور أو الجبّانات أو دنسها. وتكون العقوبة السجن الذي لا تزيد مدّته على خمس سنوات إذا ارتكبت أيّ منها تنفيذًا لغرضٍ إرهابي».

المادّة (161): «يُعاقب بتلك العقوبات على كلّ تعدٍّ يقع بإحدى الطرق المبيّنة بالمادّة (171) على أحد الأديان التي تؤدّي شعائرها علنًا. ويقع تحت أحكام هذه المادّة: (أوّلًا) طبع أو نشر كتابٍ مقدّس في نظر أهل دينٍ من الأديان التي تؤدي شعائرها علنًا إذا حرّف عمدًا نصّ هذا الكتاب تحريفًا يغيّر من معناه. (ثانيًا) تقليد احتفالٍ ديني في مكانٍ عمومي أو مجتمعٍ عمومي بقصد السخرية به أو ليتفرّج عليه الحضور».

ب. قانون العقوبات الأردني رقم 16 لسنة 1960م وتعديلاته حتّى سنة 2018م:

المادّة (273): «من ثبتت جرأته على إطالة اللّسان علنًا على أرباب الشرائع من الأنبياء يُحبس من سنة إلى ثلاث سنوات».

35- الزعبي، مرجع سابق، ص 91 – 92.

36- الزعبي، مرجع سابق، ص 85 – 86.



تجريم الحريّة وحريّة التّجريم! الجزء 1



لمى اللبواني

المادّة (275): «كلّ من خرّب أو أتلف أو دنّس مكان عبادةٍ أو شعارًا أو أيّ شيء تقدّسه جماعةٌ من الناس قاصدًا بذلك إهانة دين أيّة جماعةٍ من الناس أو فعل ذلك مع علمه بأنّ تلك الجماعة ستحمل فعله هذا على محمل الإهانة لدينها، يُعاقب بالحبس من شهر إلى سنتين أو بغرامةٍ من خمسة دنانيرٍ إلى خمسين دينارًا».

المادّة (276): «كلّ من أزعج قصدًا جمعًا من الناس اجتمعوا ضمن حدود القانون لإقامة الشعائر الدّينيّة أو تعرّض لها بالهزء عند إقامتها أو أحدث تشويشًا أثناء ذلك أو تعدّى على أيّ شخصٍ يقوم ضمن حدود القانون بالشعائر الدّينية في ذلك الاجتماع أو على أيّ شخصٍ آخر موجودٍ في ذلك الاجتماع دون أن يكون له مبرر أو عذر مشروع يُعاقب بالحبس حتى ثلاثة أشهر أو بغرامةٍ حتى عشرين دينارًا».

المادّة (277): «كلّ من اعتدى على مكانٍ يُستعمل لدفن الموتى أو على مكان مخصص لإقامة مراسيم الجنازة للموتى أو لحفظ رفات الموتى أو أنصاب الموتى أو دنّسه أو هدمه أو انتهك حرمة ميتٍ أو سبّب إزعاجًا لأشخاصٍ مجتمعين بقصد إقامة مراسم الجنازة قاصدًا بذلك جرح عواطف أيّ شخصٍ أو إهانة دينه أو كان يعلم بأنّ فعله هذا يحتمل أن يجرح عواطف أيّ شخصٍ أو أن يؤدي إلى أيّة إهانةٍ دينية، يُعاقب بالحبس مدّةً لا تزيد على ثلاثة أشهر أو بغرامةٍ لا تزيد على عشرين دينارًا».

المادّة (278): «يُعاقب بالحبس مدّةً لا تزيد على ثلاثة أشهر أو بغرامةٍ لا تزيد على عشرين دينارًا كل من: 1. نشر شيئًا مطبوعًا أو مخطوطًا أو صورةً أو رسمًا أو رمزًا من شأنه أن يؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني لأشخاص آخرين أو إلى إهانة معتقدهم الدّيني، أو 2. تفوّه في مكانٍ عامٍ وعلى مسمع من شخصٍ آخر بكلمةٍ أو بصوتٍ من شأنه أن يؤدي إلى إهانة الشعور أو المعتقد الدّيني لذلك الشخص الآخر».

جـ. القانون الإماراتي:

1. قانون العقوبات الاتحادي رقم (3) لسنة 1987م وتعديلاته حتى سنة 2019م:

المادّة (182) مكرر (1): «يُعاقب بالسجن مدّةً لا تقلّ عن عشر سنوات كلّ من استغلّ الدّين في التّرويج بالقول أو الكتابة أو بأيّة وسيلةٍ أخرى لأفكارٍ من شأنها إثارة الفتنة أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلم الاجتماعي».

المادّة (312): «يُعاقب بالحبس وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين كلّ من ارتكب جريمةً من الجرائم الآتية: 1. الإساءة إلى أحد المقدسات أو الشعائر الإسلامية. 2. سبّ أحد الأديان السماوية المعترف بها [...] فإن وقعت إحدى هذه الجرائم علنًا كانت العقوبة الحبس الذي لا يقلّ عن سنةٍ أو الغرامة».

المادّة (315): «يُعاقب بالحبس وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين كلّ من أساء إلى إحدى المقدسات أو الشعائر المقررة في الأديان الأخرى متى كانت هذه المقدسات والشعائر مصونةً وفقًا لأحكام الشريعة الإسلامية».

المادّة (319): «كلّ من ناهض أو جرح الأسس أو التعاليم التي يقوم عليها الدّين الإسلامي أو ما عُلم منه بالضرورة أو نال من هذا الدّين [...] يُعاقب بالسجن مدّة لا تزيد على خمس سنوات».

2. القانون الاتحادي رقم (18) لسنة 1978م في شأن الجرائم الماسّة بالدّين الإسلامي:

المادّة (3): «كلّ من ناهض أو جرح الأسس أو التعاليم التي يقوم عليها الدّين الإسلامي أو ما عُلم منه بالضرورة أو نال من هذا الدّين [...] يُعاقب بالسجن مدّة لا تقلّ عن ثلاث سنوات ولا تزيد على خمس سنوات».

3. مرسوم بقانون اتحادي رقم (2) لسنة 2015م في شأن مكافحة التمييز والكراهية:

المادّة (4): «يُعدّ مرتكبًا لجريمة ازدراء الأديان كلّ من أتى أيًّا من الأفعال الآتية: 1. التطاول على الذات الإلهية أو الطعن فيها أو المساس بها. 2. الإساءة إلى أيّ من الأديان أو إحدى شعائرها أو مقدساتها أو تجريحها أو التطاول عليها أو السخرية منها أو المساس بها أو التشويش على إقامة الشعائر أو الاحتفالات الدّينية المرخّصة أو تعطيلها بالعنف أو التهديد. 3. التعدي على أيّ من الكتب السماوية بالتحريف أو الإتلاف أو التدنيس أو الإساءة بأيّ شكلٍ من الأشكال. 4. التطاول على أحد الأنبياء أو الرسل أو زوجاتهم أو آلهم أو صحابتهم أو السخرية منهم أو المساس بهم. 5. التخريب أو الإتلاف أو التدنيس لدور العبادة، وللمقابر، وللقبور أو ملحقاتها أو أيٍّ من محتوياتها».

المادّة (5): أ. يُعاقب بالسجن مدّة لا تقلّ عن خمس سنوات، وبالغرامة التي لا تقلّ عن مائتين وخمسين ألف درهم، ولا تزيد على مليون درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كلّ من ارتكب فعلًا من الأفعال المنصوص عليها في البنود (2،3،5) من المادّة (4) من هذا المرسوم بقانون، بإحدى طرق التّعبير أو غيرها من الصور الأخرى أو باستخدام أيّ من الوسائل. ب. يُعاقب بالسجن مدّة لا تقلّ عن سبع سنوات، وبالغرامة التي لا تقلّ عن خمسمائة ألف درهم، ولا تزيد عن مليوني درهم، كلّ من ارتكب فعلًا من الأفعال المنصوص عليها في البندين (1،4) من المادّة (4) من هذا المرسوم بقانون، بإحدى طرق التّعبير أو غيرها من الصور الأخرى أو باستخدام أيٍّ من الوسائل».

المادّة (7): «يُعاقب بالسجن مدّة لا تقلّ عن خمس سنوات، وبالغرامة التي لا تقلّ عن خمسمائة ألف درهم، ولا تزيد على مليون درهم، أو بإحدى هاتين العقوبتين، كلّ من ارتكب فعلًا من شأنه إثارة خطاب الكراهية بإحدى طرق التّعبير، أو باستخدام أيّة وسيلةٍ من الوسائل».

المادّة (10): «يُعاقب بالسجن المؤقت كلّ من استغل الدّين في رمي أفرادٍ أو جماعاتٍ بالكفر باستخدام إحدى طرق التّعبير أو باستخدام أيٍّ من الوسائل وذلك لتحقيق مصالحٍ خاصةٍ أو أغراضٍ غير مشروعة. وتكون العقوبة الإعدام إذا اقترن الرمي بالكفر تحريضًا على القتل فوقعت الجريمة نتيجةً لذلك».



تجريم الحريّة
وحريّة التّجريم!
الجزء 1



لمى اللبواني

د. القانون التّونسي:

1. المجلّة الجزائية التونسية لسنة 2018م:

الفصل (161): «يُعاقب بالسجن مدّة عامٍ وبخطيّةٍ قدرها مائة وعشرون دينارًا، كلّ من يتلف أو يهدم أو يفسد أو يعيب أو يشوه المباني أو الهياكل أو الرموز أو غير ذلك من الأشياء المعدّة لممارسة الشعائر الدّينية. والمحاولة موجبةٌ للعقاب».

الفصل (163): «يُعاقب بالعقوبات المقررة بالفصل (162) من هذه المجلة كلّ من يهدم أو يتلف أشياءً محفوظةً بالمتاحف أو كتبًا أو مخطوطاتٍ محفوظةً في مكتباتٍ عموميةٍ أو بمبانٍ دينيةٍ أو أوراقًا أو وثائقًا أصليةً مهما كانت طبيعتها محفوظةً ضمن مجموعةٍ وثائقيةٍ عموميةٍ أو بخزائن المحفوظات أو بمستودعٍ إداري. والمحاولة موجبةٌ للعقاب». والعقوبات المقررة بالفصل (162) هي: السجن مدّة عامٍ وخطيةٌ قدرها مائة وعشرون دينارًا.

الفصل (165): «يُعاقب بالسجن مدّة ستة أشهر وبخطيةٍ قدرها مائة وعشرون دينارًا، دون أن يمنع ذلك من تطبيق العقوبات الأشد المستوجبة لأجل هضم الجانب أو الضرب أو التهديد، كلّ من يتعرض لممارسة الشعائر أو الاحتفالات الدّينية أو يثير بها تشويشًا».

2. المرسوم عدد (115) لسنة 2011م المتعلّق بحرية الصحافة والطباعة والنشر:

الفصل (52): «يُعاقب بالسجن من عامٍ إلى ثلاثة أعوامٍ وبخطيةٍ من ألفٍ إلى ألفي دينارٍ كلّ من يدعو مباشرةً بواسطة وسيلةٍ من الوسائل المبيّنة بالفصل (50) من هذا المرسوم إلى الكراهية بين الأجناس أو الأديان أو السكان وذلك بالتحريض على التمييز واستعمال الوسائل العدائية أو العنف أو نشر أفكارٍ قائمةٍ على التمييز العنصري».

الفصل (53): «يُعاقب بخطيةٍ من ألفٍ إلى ألفي دينارٍ كلّ من يتعمّد، بالوسائل المذكورة بالفصل (50) من هذا المرسوم، استعمال بيوت العبادة للدعاية الحزبية والسياسية وكلّ من يتعمّد النيل من إحدى الشعائر الدينية المرخص فيها».

لمى اللبواني: ناشطة حقوقية سوريّة وعضوة في غرفة دعم المجتمع المدني السوريّ (CSSR)، وطالبة دراسات عليا في القانون العام.

كاريكاتور







Sami Jamal

حدا انتبه للقط اللي في الزاوية وهو ينظر إلى قصة خلقه من عطسة أسد؟ وكأنه يقول سبحان اللللللله



Ahmed Badr

لقد حالفهم النسيان من الشيطان في أن يذكروا أهم آية التي تتحدى من يكفر بها أن يأتي أحدهم بمثلها وكما هو أساس الإعجاز العلمي مثل ما في القرآن في العلم.



Mustafa Hajee

إنَّهم موهوبون في هذا، ويجب أن نُطلِق على ما يقومون به بـ (فن صناعة الإعجاز). ^_^



Norma Bassily

كان لابد يكتب «مطبخ» العلماء المسلمون بدل مختبر



Arab Atheists Magazine is a digital publication produced entirely by volunteers committed to freedom of thought, inf ormative and enlightening articles regardless of ethnicity gender or persuasion with autonomy, complete independence and most importantly free from geopolitical censorship.

The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation. Contributors will assume full responsibility for the content, illustrations and topics they provide pertaining to infringement of copyright and issues of intellectual property.

The expressed permission to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Editorial or other atheists and non-religious contributors.

The Magazine does not publish unethical material that amongst other things perpetuate incitement to racism or bigotry.

The Editorial Board reserves the right to republish content originally shared on our magazine's Facebook page publishing there gives implicit consent to republish to the Magazine.

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com